صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
شارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر كل أسبوعين مؤقتاً

بدل الاشتراك
مص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الرابع — القاهرة في يوم الأربعاء ٥ ذو القعدة ١٣٥١ — أول مارس ١٩٣٣ — السنة الأولى

فهرس العدد

طبعت بمطبعة فاروق ٢٨ شارع المدابغ بالقاهرة

ملكة الجمال

للدكتور طه حسين

هناك ابتسامة تتردد كثيراً قبل أن ترتسم على بعض الثغور . وتأتلق في بعض الوجوه . أو قل إن هناك ثغوراً ووجوها تتردد كثيرا قبل أن تقبل أن ترتسم عليها . وتأتلق فيها بعض الابتسامات . أو قل إن هناك نفوسا تتردد كثيرا قبل أن تتخذ ثغورها ووجوهها مظاهر لهذا الذي يعرب عنه الابتسام في بعض الظروف . وقد فكرت في هذه الابتسامة المترددة . وفي هذه الثغور والوجوه والنفوس التي تتردد بين الرضا والسخط . وبين ما يظهرهما . ويدل عليهما من الابتسام والعبوس . حين قرأت في الصحف أخبار ملكة الجمال وتشريفها لمصر بزيارتها السعيدة الموفقة .

فكرت في هذه الابتسامة المترددة . لأني أحسست ترددها على شفتي . ورأيتها تحاولان الانبساط ثم تعودان فتمرجان وتبسطان بالابتسامة . ثم تستقر عليهما هذه الابتسامة التي كانت مترددة . ولكنها تستقر في سخرية إلا تكن شديدة المرارة . فليس فيها شيء من حلاوة الرضا . ذلك لأني لا أدري أوفقت الانسانية حين فتحت على نفسها هذا الباب الظريف السخيف . الذي يدخل عليها منه ظرف كثير . ويدخل عليها منه سخف كثير ؟ ومن يدري لعل الظرف والسخف صديقان لا يفترقان . وحليفان لن يختصما . أو تتغير الأرض ومن عليها وما عليها . وهذا الباب الظريف السخيف الذي يبعث الرضا ويبعث السخط . والذي يغيظ ويلهي هو باب المسابقة الى الفوز بسلطان الجمال !

خطرت هذه الفكرة لكاتب فرنسي . ليس هو من المتعمقين في الجد . ولا هو من المتهالكين على الهزل . وانما هو كاتب خفيف ظريف ، يرضى في سهولة . ويرضي الناس في يسر . وتتفق عنده سوقه في غير مشقة . وأكبر الظن أنه يسخر من الناس ومن نفسه

وأكبر الظن انه انما يرضي الناس ويعجبهم لأنه يسخر منهم ويستهزىء بهم ويخيل اليهم أنه يجد كل الجد حين يسوق اليهم الأحاديث، مع أنه لا يزيد على أن يهزل أشد الهزل وألطفه، ولعله انما يفعل هذا كله. فيهزل جاداً ويجد هازلا لأنه صحفي، أو قل لعله انما أصبح صحفيا رائجا نافق السوق لأنه يفعل هذا كله. وأنا أعتذر الى الصحفيين ولكنى أعتقد أن صاحبة الجلالة الصحافة انما أقامت عرشها العظيم على هذه الدعائم المتينة الصلبة من سياسة الجمهور. وانما تساس الجماهير فى ظل الديمقراطية أحسن سياسة وأجداها حين تلبس لها ثوب الجد وأنت تهزل، وترتدى لها رداء الهزل وأنت تجد. وتظهر لها على كل حال من نفسك ما تريد أن تظهر لا ما ينبغى أن تظهر. هــذا الكاتب الفرنسى اللبق الذى فتح للانسانية باب الجمال على مصراعيه وأثار فى رءوسها الفارغة فكرة المسابقة الى سلطان الحسن هو (موريس دواليف). خطرت له هذه الخاطرة ذات يوم وهو يمزح، أو ذات ليل وهو يلهو، فتحدث بها الى صديق أو صديقين ثم الى زميل أو زميلين ثم الى ادارة الجورنال ثم الى صحيفة الجورنال. وما أصبح الصباح حتى ملأت الفكرة باريس. وما أمسى المساء حتى ملأت الفكرة فرنسا. وما كان الغد حتى ملأت الفكرة أوربا، وما مضت أيام حتى ملأت الفكرة الأرض كلها ولعبت برؤوس الناس جميعا. وهذا مصدر آخر من المصادر الملهية لسلطان صاحبة الجلالة الصحافة هو أنها ترى الرأى فاذا هو أمام الناس جميعا أو أمام جماعات ضخمة منهم فى وقت واحد أو فى أوقات متقاربة، ومن حوله المغريات والمرغبات والمثيرات للميل. فيلقى الناس بعضهم بعضا وقد قرأوا الصحيفة واذا هم يتساءلون: وما رأيك فى هذه الفكرة الطريفة الظريفة معاً فكرة موريس دواليف فى هذه المسابقة التى ستدعى اليها الفتيات لاظهار ما لهن من جمال بارع وحسن فتان. ثم تعود أصداء الدعوة من باريس وفرنسا وأوربا واطراف الأرض الى الجورنال، واذا الفكرة قيمة. واذا التجربة الأولى تهيأ ثم تتم. واذا للجمال ملكة فى فرنسا. واذا البلاد الأخرى تسير سيرة فرنسا، واذا لكل بلد ملكة للجمال، واذا المسابقة أوربية بين صاحبات الجلالة القومية. واذا لأوربا ملكة، ثم للعالم كله ملكة، واذا نظام جديد قد أقيم، واذا الديمقراطية المتطرفة والاشتراكية الغالية والارستقراطية المعتدلة والأوتقراطية المسرفة. كل هذه النظم المختلفة المتباعدة قد اتفقت على الاذعان لسلطان الجمال

(البقية على صفحة ٤١)

شعر جــــديد

لأستاذ كبير

فى يوم واحد هو يوم ١٩ من هذا الشهر قرأت فى جريدتين محترمتين من جرائد الصباح قصيدتين احداهما من شعر آنسة تلقب نفسها (فتاة الصعيد) والاخرى لشاب شاعر من اخواننا السوريين.

فتاة الصعيد توجه تغريدها المنظوم الى رجل كبير من زعمائنا فتقول.

احبك مهما أثار الخبر كوامن حقد اذا ما انتشر

ارى صورة لك فى لوحة فيلهب قلبى هوى مستعر

وشاعر الشاب السورى يقرظ سيدة كبيرة هى ايضا فى كل شىء الا فى سنها، القت محاضرة فى بعض النوادي فيتقصى آثارها:

الله أكبر من سحر البيان ومن سحر بعينيك خلى الحفل نشوانا

هذا يدير على الالباب خمرته وذا يدير على الاسماع الحانا

وما علمنا فى الادب العربى ان أمرأة ارسلت كلمة (احبك) فى شعر سائر الا رابعة العدوية حين قالت تخاطب ربها:

احبك حبين حب الوداد وحبا لأنك اهل لذاكا

فابتدعت فنا من الشعر الغرامى صوفيا لا يدرك مراميه الا اهل الاذواق والمواجد

قد يكون فى سن الانسة او فى شكلها او فى غير ذلك من امرها ما يغفر لها التصايح بالحب فى الميادين العامة. ولكنا على ثقة من أن فتيات الصعيد لا يعرفن الهوى المستعر.

ومن صليت منهن نار الحب ماتت شهيدة الكتمان. تردد انفاسها الخامدة قول العباس بن الاحنف.

لاخرجن من الدنيا وحبكم بين الجوانح لم يشعر به أحد

فصاحبتنا بلا ريب ليست صعيدية ونسبتها الى الشعر كنسبتها الى الصعيد، يشهد بذلك قولها فى منظومتها على سبيل المدح:

وغيرك فى زعمه كاذب ومن ذا سواك زعيم مصر

أما شاعر الشاب السورى فقد كان من حقه اذ يحضر مجالس العلم والادب أن يشغله شىء آخر عن ملء عينيه من شىء غيره.

وليس بمنكر ان يتحدث الشعر عن العيون السواحر. لكن حديث العيون لا يكون فى محاضرة أدبية ولا يكون فى النادى الكاثوليكى غير ان شاعرنا المسكين يعترف بأنه كان سكران حين نحت قريضه. وما كان أجدره بعد السكر حتى يصحو من خمر العيون ثم لا يقول الشعر الاصاحيا ولا يسكر بعدها الا فى الحان من خمر الدنان.

ليت شعرى ما الذى يزين هذه البدع فى اذواق شبابنا؟ ويا خوفى ان يحسبوها من أثر ثقافة لا تبنية او سكونية على حين لا من ثقافة هى ولا من ذوق!



بعض الناس

للأستاذ محمد عبد الواحد خلاف

عرفت فيمن عرفت من الناس رجلا اجتمع له كل ما يشتهى من جمال فى المظهر . كان مديد القامة فى غير شذوذ ، مكتنز العضلات فى غير ترهل . حسن قسمات الوجه فى غير تخنث . اشرب لونه حمرة تنطق بما حباه الله من عافية فى بدنه . محوذ الملبس لا تنقصه فيه أناقة ولا حسن انسجام . وكان يغشى ناديا اختلف اليه جماعة من الاخوان فاستشعرت له أول الأمر هيبة وتوسمت فيه خطرا . وكان أحد الرفاق يتحدث فى أمر شديد الاتصال بذاته ، فرأيت لهذا الرجل نظرة ساخرة . أدركت منها أنه يعلم عن هذا الحديث ما لا يعلم قائله ، ولم يطل بى الانتظار حتى رأيته قد استولى على الحديث وأخذ يذكر عن نفسه وتجاربه المتصلة به كثيرا ، أو تشعب الحديث ، وأثار الاستطراد ذكر مسائل مختلفة ، وكان هو فارس كل ميدان والحجة فى كل موضوع ، وكان اذا اشتد الجدل علا صوته حتى غلب كل صوت ، واذا أعوزه فى دعوى أن يقيم الدليل ، أفحم مناظريه بالضجيج والتهويل . وتكرر التقائى به حتى هان على أمره ، وصرت لا أحفل لقول يقوله . ولكنى كنت أجد فى دعاواه العريضة شيئا من الفكاهة يروح عن النفس بعض ما تلقاه من جد الحياة .

وقرأ حديث من الرفاق فى احدى الصحف خبر اعتصاب العمالين لخلاف بينهم وبين رؤسائهم ، فبيت فى نفسه أمرا يهتك به ستر هذا المدعى . وأقبل صاحبنا يتهادى فى مشية يطيئة وتؤدة وقد تدلى من بين شفتيه سيكار فاخر . وأشرق وجهه بتلك الابتسامة الساخرة التى توحى الى الرائى هوان الناس عليه ، وعلمه من حقائق الأمور ما لا يعلمون . فلقاه الداعب الخبيث بتهليل المعجب الذى وقف على ما أخفاه من فعال ، وبدا عليه ما يشبه الخجل والحياء لافتضاح مكرمة يأبى عليه تواضعه ان تنشر وتذاع . وقال له الصديق الداعب : ولله الله من بطل ! لقد لمست فى الأمر أصبعك ، وشممت منه ريحك ، وقلت منذ قرأت الخبر انها لا شك احدى أياديك فى نصرة الضعفاء .

ولكن نبئنى كيف وفقت فى جمع كلمة أولئك العمالين مع انقطاع كل صلة بينك وبينهم ، وكيف تم لك تدبير أمرهم ؟ »

وأشفقت من وقع تلك السخرية اللاذعة المكشوفة على نفس صاحبنا ، ووجدت فيها قسوة شديدة على هذا الغر . ولكنى عجبت حين وجدته يهز رأسه فى أناة هزة الواثق ، ويذكر أنها بداية حملات يقوم بها فى رد حقوق المهضومين ، وأن هذا شىء لا يستحق الذكر الى جانب ما ستظهره الأيام من جهوده العظيمة فى هذا السبيل .

وانطلقت من الأفواه ضحكات طويلة عدتها سخرية وعدها هو طرب أعجاب وتقدير . وبدأت بعد هذا أرثى للرجل وأشفق عليه مما سيحيق به من السخرية والازدراء فى كل مجتمع يغشاه ، حتى كانت بعض الحركات العامة فوجدت الرجل يتصدر مجالسها مسموع الكلمة عالى المنزلة !

أدركت عند ذلك أن أول الناس فى هذا البلد بالرثاء هم ذوو الفضل والحياء .

اقيلوا عثرات الناس :

نشأت نشأة محافظة جعلتنى أغلو فى استنكار زلات الشباب ، واشتد فى النقمة على كل عاثر . ولا يتسع صدرى لتلمس عذر الخاطىء ، وكنت أحاول من اعرف عنهم ذلك واشتط فى الحكم عليهم ، فلا أرجو منهم خيرا أبدا .

وكان لى صديق ألف الله قلبينا برباط من الود الصادق أنزله من نفسى أكرم منزل ، وباعدتنا طلب الرزق حينا ، فلما التقينا بعد طول غياب وجدت على وجهه غمامة من الاكتئاب دلتنى على أنه يعانى بين جنبيه هما مبرحا تنوء عليه حمله . وكان كلما هم أن يفضى الى بوجيعته ساوره شىء من الخوف فطواها فى صدره . ومازلت أترفق به حتى قص على قصته ، وعلمت أنه فى احدى ثورات العواطف جمحت به نفسه ، وأفلت منه قيادها فزلت قدمه . وأتى ما يأتيه كثير من الناس . ولم يجد فيما زوى به حسه من متع غناء عما فقده من رضى نفسه وطمأنينة وجدانه ، فهو لهذا بائس حزين .

(البقية على صفحة ٤٢)

السلوة

للأستاذ عبد الحميد العبادى

... وكان صاحبى كلما سئم تكاليف الحياة ، وضاق ذرعاً بمعاشرة الناس ، التمس الراحة فيما تيسر له من أمور ثلاثة : العزلة ، والطبيعة ، والماضى البعيد .

أما العزلة فتفرغ عليه هدوء السر ، وراحة البال ، ثم هى فوق ذلك تهيء له أسباب التفكير فى نفسه ، وتعينه على أن يستعرض عمله ، وأن ينقده فى تؤدة وأناة . وصاحبى شديد الأخذ لنفسه ، مسرف فى تعهدها ومحاسبتها على الصغيرة والكبيرة . فربما بات ساهراً متململا لنادرة بدرت منه ، أو زلة زلها لسانه . وهو بعد حريص على راحة ضميره وطمأنينة قلبه . فإن استطاع أن يقيم علاقته بالناس على أساس من العدل والانصاف فذلك ، وإلا فليكن المظلوم غير الظالم والمقتول غير القاتل . من أجل ذلك كانت العزلة كثيراً ما تفتح عليه باب ألم معنوى شديد . بيد أنه ألم فى شرعه محتمل مستعذب ، يصلى ناره ، راغباً ويخلص منها مغتبطاً راضياً .

وأما الطبيعة ، فهى عنده الأم الرءوم : إليها يستريح ويسكن ، ومن جمالها ينهل ويعل . وفى حجرها تنبعث نفسه المجهودة ، وتهيج عاطفته المكدودة . قد فتن بالطبيعة وحياة الطبيعة ، حتى ليكاد مزاجه يساير فصول العام انبساطاً وانقباضاً ، وابتهاجاً واكتئاباً . ولولا بقية إيمان لانقلب صابئاً يسجد للشمس عند شروقها وغروبها ، ويهتف للقمر حين بزوغه وأفوله ، ويساهر النجوم والأفلاك من طلوعها لمغيبها . ولصار حلولياً يرى فى ثنايا الجبال وأهضام الأودية ، وفى الأجمة الملتفة والصحراء البلقع ، جناً تراءى له فى غدواته وروحاته ، ولفتاته ولمحاته ، تحاول أن تستروحه لتستهويه ، وتستميله لتفتنه . أجل ! ولولا أثارة من تماسك وتصاون ، لحنا على النبتة الزاهية ، ولكبر للدوحة العالية ، ولأجهش للصخرة الراسية على ساحل البحر المتململ : ولا ندفع بقول الشعر يساجل الطير : لحناً بلحن وتغريداً بتغريد .

على أن صاحبى ليس بالناسك ولا الزاهد . وقد يكون فى قرارة نفسه ، وحقيقة أمره ، مرحاً طروباً ، وبوده ، على شدة انصرافه عن الدنيا ، ألا ينسى نصيبه منها . ولكنه متزمت متشدد : يريد القوم صفوا من النفاق والدهان ، خلوا من الحقد والاضطغان .

فأما وقد أعجزه ذلك : فقد أصبح يرى ضالته المنشودة فى الغابرين الأولين من أهل القرون الخالية : أصبح يراها فى الماضى البعيد . والماضى عنده عالم حافل بأعلامه وأحداثه ، زاخر بخيره وشره ، لاعيب فيه سوى أن القدم قد صهره ومحصه . وأن الموت قد نفى خبثه عن طيبه ، وزغله عن صميمه ، فبدت فيه كل نفس على حقيقتها ، ومثل كل حادث على جليته . من أجل ذلك اصطفى صاحبى من الماضين خلاناً وأصدقاء ، قد أصفاهم الود ، وأخلص لهم الحب ، وإن اختلفت الدار ، وبعد المزار ؛ لقد أدرك صاحبى أن الموت حق والحياة باطل .

***

تكاءدت الهموم هذا الفيلسوف يوماً ، فخرج من منزله وقد جنحت الشمس للغروب ، فما زال يتخير الأمكنة والبقاع ، حتى أوى إلى صخرة قد استقبلت بحراً خضماً ، واستدبرت مرجاً معشوشباً منعاماً ؛ وفى شرقيها المدينة هائجة مائجة ، صاخبة داوية ؛ وفى غربيها قصر عتيق مثل الجنبات متداعى الأركان .

فأخذ الفيلسوف مجلسه من ذلك المنظر الفخم ، وجعل تارة يسرح الطرف فى البحر الواسع ، فتطير شعاعاً فوق صفحته أشجانه ؛ وتذوب فى هدير أمواجه آهاته وأحزانه . وتارة يثنى نحو المرج يداعب منثور زهره ؛ ويتسمع سجع طيره ، وأخرى يلتفت إلى القصر يسأله أخبار من نزلوه ثم ارتحلوا عنه وكانوا أحاديث . حتى إذا ما ارتوى الفيلسوف من نسيم البحر ، وعبير الزهر ، وحديث القصر ، تناول هراوته ، وزر معطفه ، وعاد يؤم المدينة متثاقل الخطى ، مردداً قول الشاعر :

أن الطبيعة أم نستجير بها
من جانب للرزايا غير مأمون !

عبد الحميد العبادى

أنجزت دار الكتب المصرية طبع

ديوان نابغة بنى شيبان

أحد فحول شعراء الدولة الأموية ، وهو كسائر مطبوعات الدار فى دقة التصحيح وجمال الطبع ، وثمن النسخة الواحدة منه ٤٠ مليماً للجمهور و ٣٠ مليماً لأصحاب المكتبات أو لمن يشترى عشر نسخ فأكثر . ويطلب من دار الكتب المصرية



مشروع مقـــالة

للاستاذ احمد امين
استاذ الأدب العربي بكلية الآداب

جلست الى مكتبي وأمسكت بالقلم واستعرضت ما مر علىَّ أثناء الأسبوع لأختار منه موضوعاً أكتب فيه ، فخطر لى :

١

أن أكتب فى المساجلات الأدبية التى دارت بين شيخ العروبة والأستاذ مسعود فى (الطرطوشى ولاردة) ، وبين الدكتور زكى مبارك والأستاذ عبد الله عفيفى فى كتاب (زهرات منثورة) ، وبين الدكتور طه حسين والأستاذ العقاد (اللاتينيين والسكونيين) . وقلت ان هذا موضوع طريف جدير أن يكتب فيه الكاتب ويعرض فيه لنوعى النقد اللذين ظهرا فى كتابة هؤلاء الأدباء : فأحد النوعين قاس عنيف . تورط فيه الأربعة الأولون حتى يخيل الى أنه لم يبق إلا أن يتسابوا بالآباء ، أو يتضاربوا بالأكف ، أو يتبارزوا بالسيوف ! والآخر عفيف خفيف كالذى سلكه طه والعقاد ، فيه لذع ، ولكن بالايماء والاشارة ، وفيه مهاجمة عنيفة . ولكن للفكرة لا لقائلها . ويخيل الى أنهما اذا تقابلا تعانقا ، ومهما أطالا فلن يتباغضا . ليس فى أسلوبهما إدلال وفخر وإعجاب وعجب ، كالذى بين شيخ العروبة ومسعود ، وليس فيه إسفاف وتنابز بالألقاب وإدخال للعمامة والقبعة فى وسط المعمعة ، كما بين عبدالله عفيفى وزكى مبارك ! يدعو أحدهما الآخر الى التلمذة له ، ويلقى كلاهما درساً فى النحو على أخيه ، ويذكران من الألفاظ مالو ذكرته لهاج فى قراء الرسالة برسعوتى تأنيبا وتجريحا ، ولغضب علىَّ صاحب الرسالة فعاقب مقالتى باهمالها .

وقلت من الحق أن تصرخ فى وجه هؤلاء . وأن تعلن أن نقدهم يعجبك موضوعاً ولكن لا يعجبك شكلا . وأن الذوق اذا رق اكتفى فى الخصام بلمحة ، وأن الأديب يعجبه التعريض والتلميح ، ويشمئز من الهجو المكشوف والتصريح ، وأن العامة اذا تسابوا أقذعوا ، وأن أولى الذوق اذا تخاصموا كان لهم فى الكناية ومراتبها ، والايماء ودرجاته ، والتعريض ومقاماته ، مندوحة من الأسلوب العريان والصراحة المخزية ، وأن الحقيقة الواحدة يمكن أن تقال على ألف وجه ، يتخير الأديب أحسنها ، على حين لا يعرف العامى إلا وجها واحداً يتلوه الضرب ، وأن فى أعناق شيوخ الأدب حقا للناشئة من المتعلمين الذين يضربون على قالبهم ويسيرون على منوالهم ، وأن هؤلاء الناشئة ليجدون فى هذه الصحف والمجلات مدرسة تثقفهم وتغذيهم ، ثم هم بعدُ قادة الأدب وهداة الأمة . فلو أنا علمنا النشء هذا النقد الذى لا يرعى صداقة ولا يأبه لوفاء كان علينا وزرهم ، ووزر الأجيال بعدهم ، وكانت مدرستنا التى نشئها قاسية البرامج فاسدة الطريقة .

وقلت : ان هذه الطريقة لا تخدم الحق كما يزعم أصحابها . فلسنا نطلب منهم أن يسكتوا على باطل وأن يتحمضوا عن خطأ . بل نحمد منهم جدهم فى خدمة الحق وسهرهم فى كشف الصواب . ولكنهم يسيئون الى الحق اذا ظنوا أنه لا يؤدى الا بهجر ، ولا يكشف إلا بسباب . والحق اذا عرض فى أدب كان أجمل وأجدى على رواده ، واذا عرض فى سفه حمل المعاند أن يصر على عناده ، وحمل الخجول أن يكتم آراءه فى نفسه حتى لا ينهش عرضه ولا تبتذل كرامته . فقلَّ التأليف وضعف الانتاج .

جال كل هذا فى نفسى ، ولكنى خفت أن أكتب مقالتى فى هذا الموضوع ، وقلت انك ان فعلت هاجوا بك وتركوا

خصومتهم لخصومتك ، وتصادقوا لعداوتك ، وقالوا أتلق علينا درساً فى الأدب ونحن أساتذة الأدب ؟ ومن أنت وما شأنك؟وجلسوا مني مجلس الملكين يسألون ويسفهون . وأنت ماأغناك عن هذا الموقف ! وماأبعدك من هذا المأزق ! فتركت هذا الموضوع وعدلت عن المشروع .

فيم أكتب إذن ؟

٢

كنت فى الترام عصر يوم من هذا الأسبوع ، فصاح بائع الجرائد : المقطم ! البلاغ ! فلم ألتفت اليه لأنى كنت قرأتهما . فلم يصدق أنى سمعت فصاح صيحة أنكر من الأولى ، فكان موقفى منه هو موقفى . فأمعن فى الصراخ وأمعنت فى البرود . فما وسعه إلا أن صعد الترام ومسني بالمقطم والبلاغ، فاضطررت إلى أن أقول انى قرأتهما ليصدق أنى سمعت وفهمت !

وقلت : إن هذا موضوع للكتابة طريف ، أدعو فيه الى دقة الحس ورقة الشعور وظرف المعاملة ، فان ذلك لو كان لأغنانا عن كثير مما نلاقى من عناء وجفاء ، وما معاملاتنا الا كالآلة بلا زيت : تسير ولكن تصدع .

على انى قلت ان هذا الموضوع من جنس الأول ، فلو أن أساتذة الأدب رقوا فى نقدهم ، لرق بائعو الجرائد فى عرضهم . فعرضت عن هذه إذ عرضت عن تلك .

٣

وجلست فى مجلس يجمع طائفة مختارة من الأدباء ، فعرضت بعض القصائد والمقالات ، فما من قصيدة أو مقالة إلا استحسنها قوم واستهجنها آخرون ، ورأيت من استحسن لم يستطع أن يقنع من استهجن ، ولا من استهجن قد استطاع أن يقيم الدليل على من استحسن . ورأيتهم اذا تناقشوا فى المعقولات أطالوا حججهم، وسددوا براهينهم، وذكروا لقولهم الأسباب والنتائج. وهم أعجز ما يكون عن ذلك فى الفنون والآداب .

فقلت هذا موضوع جيد ، أليس من الممكن أن يوضع للذوق منطق كما وضع أرسطو للعقل منطقاً ؟ فلتكتب فى « الذوق الفنى » ولتحاول أن تبين أسباب الخلاف ووجه الصواب ووجه الخطأ ، وترسم سلماً للرقى فى الذوق تعرف به من اخطأ ومن أصاب ، وتبين به علة الخطأ فى المخطىء والاصابة للمصيب ، وكيف تحكم على ذوق بأنه أرقى من ذوق كما تحكم على عقل أنه أرقى من عقل .

ولكنى رأيت الموضوع عميقاً يحتاج ان أفرغ له وأهجم عليه ابتداء من غير أن أشتت فكرى فى موضوعات مختلفة . فأرجأته الى حين .

وقلت : ما الذى يمنع أن أجعل مشروع المقالة مقالة ؟ فليكن !

أحمد أمين

الأمنى

ما زورق البدر إلا أشعة من عيونك
ما سحر بابل إلا إشارة من جفونك
حديقتى لا تحمى فنوره فى جبينك
وحيرتى فيه بعض من حيرتى فى شئونك
وأنت سر وجودى فكيف أحيا بدونك ؟

صالح جودت

قلب !!

يا حسان النبات ها كن قلبي زهرة لا تزال فى الاكمام
ملؤه فى الصميم عرف شذى من حنان ورقة وهيام
طله باكر الندى فهو غض لم تفارقه روعة الاحتشام
لثمته الطيور فى الايك لحنا وقفته قيثارة الالهام
وهو نسج الطبيعة الحر فدما نتهعن كلفة وعن أوهام
يرقب الشمس أن تغذيه بالـ ورحيق يبيح سر الختام
يوم يفتر بعد طول اغتماض عن غرام يفوق كل غرام

جنين — فلسطين ح ا

أثر الثقافة العربية فى العلم والعالم

بقلم أحمد حسن الزيات

٣

لم يشهد الشرق فاتحا قبل العرب يفتح البلدان والأذهان ويستعمر الألسنة والأفئدة فى وقت معا . فاليونان والرومان غزوه بالسيف والحضارة والعلم ، ولبثوا الحقب الطوال يمكنون لأنفسهم فيه ، ويطبعون آثارهم فى أكثر نواحيه، حتى اذا وهنت اليد القوية ، وأمكن من يده السلطان الغريب ، تنكرت المعارف وعفت الآثار

وكان ما كان من ملكهم من ملك ثم انقضى فكأن القوم ما كانوا !

ولكن العرب تدول دولتهم وتزول صولتهم ويعمل الفاتح الغشوم فى رجالهم السيف، وفى آثارهم النار، حتى اذا ظن انه ملك، وأن عدوه هلك ، اذا بالعرب يقولون له فى كل مكان وفى كل انسان : انا هنا ! واذا بالمغير المزهو يستسلم لهذه القوة الخفية تحتل خواطره ومشاعره وكيانه ، ثم ينقلب على الرغم منه داعيا لخلافتها ناشرا لثقافتها ! فهل رأى التاريخ مثيلا لهذه الأمة التى حكمت الناس ظاهرة ومضمرة ؟ وهل رأى التاريخ ضربا لهذا الشعب الذى طبع قسما كبيرا من الدنيا بطابعه منذ ثلاثة عشر قرنا ثم لايزال هذا الطابع على رغم العوادى جلى السمات واضح الدلالة ؟ فسلطان العرب على العالم قد زال منذ قرون، ولكن ثقافتهم ماتنفك قائمة فى الشرق الأسلامى حتى اليوم! ومن الشبيه باللغو أن نفصل اثر هذه الثقافة فى أفريقيا وآسيا ، فان من خضع للعرب من شعوب هاتين القارتين قد انقطع مابينهم وبين أسلافهم من صلات اللغة والأدب والعقائد والتقاليد ، فأصبحوا لا يتكلمون ولا يفكرون ولا يعتقدون ولا يعيشون إلا بما للعرب من جميع ذلك . وذو الحيوية القوية منهم كالفرس استطاع بعد حين أن يجمع فلول لغته من يد البلى فأعادها الى الحياة بعد ما اتيح لها من الألفاظ العربية مايشارف الستين فى كل مائة ، فضلا عن استمداده من العربية الروح والحرارة والبلاغة والخط . ومع ذلك ظل الفرس ومن قبلهم يستعملون العربية الى وقت قريب فى التأليف والتعليم والأدب كما كان الأوربيون فى القرون الوسطى يستعملون اللاتينية لمثل ذلك . على أن الثقافة العربية لم تقف فى الشرق عند حدود الفتوح وانما تجاوزتها الى حدود الهند والصين على يد التجار من العرب، والمهاجرين من الفرس، والغازين من الترك والمغول، فالعرب نقلوا فى رحلاتهم التجارية طائفة كبيرة من المعارف الى تلك البلاد ظنها الأوربيون فيما بعد أصيلة بها . وقد ألح العلامة سديو الفرنسى صاحب كتاب تاريخ العرب فى التدليل على هذا الرأى . والرياضى النابغ محمد بن احمد البيرونى المتوفى سنة ٤٣٠ نقل الى الهند اثناء اتصاله الطويل بمحمود الغزنوى خلاصات قيمة من العلوم العربية نقلها الهنود الى السنسكريتية فى مثنويات من النظم . وكوبلاى خان المغولى أدخل فى الصين طب العرب وبعض ما ألف من الكتب فى بغداد والقاهرة . ثم أخذ الفلكى الصينى (كوشيوكنج) ازياج ابن يونس المصرى من جمال الدين الفارسى ونشرها فى بلاده

وبينما كان الشرق من أدناه الى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم ، كان المغرب من بحره إلى محيطه يعمه فى غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموحة ، وكان حظه من الثقافة يومئذ ماتضمه حصون الامراء المتوحشين من بعض الكتب ، ومايعلمه بعض الرهبان الناسكين من قشور العلم . وانقضى القرن التاسع والقرن العاشر للميلاد وأولئك الأمراء فى قصورهم يتبجحون بالأمية ويرتمون فى الدماء ، وهؤلاء الرهبان فى ديورهم يمحون الكتابة من روائع الكتب القديمة لينسخوا على صفحاتها الممحوة كتب الدين، حتى أزال الله الغشاوة عن بعض العيون فرأوا من وراء هذا الظلام الداجى بقعة من المغرب تسطع فيها شمس المشرق فلما تبينوا أن البقعة هى جزء من أسبانيا ، وان النور قبس من نور بغداد ، استيقظ فى نفوسهم طموح الكمال الانسانى فطلبوا العلم فلم يجدوه الا عند العرب . ففى سنة ١١٣٠ أنشئت فى طليطلة مدرسة للترجمة تولاها الأسقف (ريموند) وأخذت تنقل جلائل الاسفار العربية إلى اللاتينية وأعانهم على ذلك اليهود، فبعثت هذه الترجمة فى أوربا الخامدة شعورا لطيفا وروحا طيبة ، وتضافرت على هذا المجهود النبيل قواعد أخرى للترجمة طوال القرون الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر حتى بلغ ماترجموه من العربية يومئذ ثلثمائة كتاب أحصاها الدكتور (لكلارك) فى كتابه تاريخ الطب العربى وأحصاها غيره أربعمائة . وكان أكثر ماترجم فى هذه العهود كتب الرازى وأبى القاسم الزهراوى وابن رشد وابن سينا وما نقل الى العربية من اليونانية لجالينوس وابقراط وافلاطون وأرسطو واقليدس الخ ... وظلت هذه الكتب المنقولة منهاجا للتعليم فى جامعات أوربا خمسة قرون أوستة، واحتفظ بعضها بقوته وقيمته حتى القرن التاسع عشر ككتب ابن سينا فى الطب مثلا ، وكان ابن رشد هو المهيمن المطلق على الفلسفة فى جامعات فرنسا وايطاليا وبادوا على الأخص ابتداء من القرن الثالث عشر . ولما أراد لويس الحادى عشر

نظم التعليم سنة ١٤٧٣ ادخل في المنهج فلسفة ابن رشد وارسطو فلولا وجود العرب في الأندلس وترجمة علومهم في صقلية والبندقية لما تهيأ للقرون الوسطى أن تظفر بكتاب من كتب اليونان ولا أثارة من علم العرب. ولما تيسر لطلاب العلم من الأوربيين أن يردوا مناهله الصافية في جامعات اشبيلية وقرطبة وطليطلة. قال المؤرخ الانجليزي جورج ملر في كتابه فلسفة التاريخ: « ان مدارس العرب في أسبانيا كانت هي مصادر العلوم. وكان الطلاب الأوربيون يهرعون اليها من كل قطر يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضية وماوراء الطبيعة. وكذلك أصبح جنوب ايطاليا منذ احتله العرب واسطة لنقل الثقافة إلى أوربا. وممن ورد تلك المناهل الراهب جربرت الفرنسي. فانه بعد ان تثقف علوم اللاهوت في (أورياق) مسقط رأسه جاب عقاب (البيرانس) والوادي الكبير حتى ورد اشبيلية. فدرس فيها وفي قرطبة الرياضيات والفلك ثلاث سنين ثم ارتد الى قومه ينشر فيهم نور الشرق وثقافة العرب فرموه بالسحر والكفر. ولكنه ارتقى الى سدة البابوية سنة ٩٩٩ باسم سلفستر الثاني. كذلك تخرج على علماء قرطبة (شانجه) ملك ليون واستوريا. وأولع بعض أمراء ايطاليا بالعربية وعدوها لغة الأدب العالي. وأوصى قومه الراهب (روجر بيكون) الانجليزي في كتبه بتعلم اللغة العربية وقال: « ان الله يؤتي الحكمة من يشاء. ولم يشأ ان يؤتيها اللاتين. وانما آتاها اليهود والاغريق والعرب » وروى فولتير ان جميع ملوك الفرنج كانوا يتخذون أطباءهم من العرب واليهود. وذكر مثل ذلك (جيبون) في الفصل الثاني والخمسين من كتابه تاريخ اضمحلال الدولة الرومانية وسقوطها. وزاد عليه أن مدرسة (سالرنو) التي نشرت الطب في ايطاليا وسائر أوربا كانت غرس العبقرية العربية. وقال المسيو ليبري (Libri): « لو محي العرب من التاريخ تأخر نهضة الآداب في أوربا قرونا طويلة ». وتلك حقيقة لاريب فيها. فان العرب كانوا الحلقة التي لابد منها لصلة المدنية القديمة بالمدنية الحديثة. فهم الذين وقفوا أوربا على مخلفات اليونان وغير اليونان. وهم الذين عالجوا هذه العلوم بالتجربة والاختبار لا بالحفظ والتكرار. حتى جلوا غامضها ونقدوا زائفها ورفعوا مباحثها على أساس من النظر الصحيح. وما لنا نحمل تبعة الكلام ونتعرض للنقض والابرام وقد كفانا الأمر ثقاتهم ومنصفوهم؟ قال المؤرخ الانجليزي (ولز) في كتابه ملخص التاريخ: « هب العرب يظهرون ماخفي من مواهبهم فبهروا العالم بما أتوه من معجزات العلم وأصبح لهم السبق بعد اليونان فبعثوا كتبهم من مراقدها. ونفخوا فيها من روحهم الحياة والقوة. فجعلوا بذلك سلسلة العلوم متصلة الحلقات محكمة السرد لا يعيبها انقطاع ولاوهن. فاذا كان اليونان آباء الابحاث العلمية المبنية على الصراحة والامانة والوضوح والتقدم فان العرب مربوها. وما جاءنا العلم والمدنية الاعن طريقهم لاعن طريق اللاتين » وانكر كاتب من الانجليز فضل اليونان على العلم الحديث وعزاه كله الى العرب قال: ان العلم الحقيقي انما دخل أوربا عن طريق العرب لاعن طريق اليونان. فان الرومان أمة حربية. واليونان أمة ذهنية. وأما العرب فكانوا أمة علمية.

لبث الفرنج ياسادتي في طور التخرج والنقل حين أخذوا عن العرب أكثر مالبث العرب في هذا الطور حينما أخذوا عن اليونان. كان من اليسير أن نعد كثيرا من العرب قد بذوا أساتذتهم من اليونان قبل انقضاء قرن على الترجمة. ولكن من المستحيل أن نعد من الفرنج مؤلفا واحدا قبل القرن الخامس عشر كان يعمل شيئا غير النقل عن العرب أو الجري على أسلوب العرب. فروجر بيكون، وليونار دبيز، وأرمان دفيلنوف، وريمون لول، وهرمان الدلماشي، وميخائيل سكوت، ويوحنا الاشبيلي، وسان توما، وألبير الجراند، والفونس العاشر أمير قشتالة. لم يكونوا غير تلاميذ للعرب أو نقلة عنهم. قال مسيو رنان: أن البير الجراند مدين بعلمه كله لابن سينا. وسان توما مدين بفلسفته لابن رشد.

أسمعوا ياسادتي مايقول (بترارك) شاعر إيطاليا العظيم ينعى على قومه تخلفهم في مضمار العلم وقعودهم عن مجاراة العرب، والشاعر من رجال القرن الرابع عشر فلا جرم أن شهادته حجة: قال في لهجة مرة من الانكار والتعجب: —

« ماذا! ماذا! أبعد ديموستين يستطيع شيشرون أن يكون خطيبا. وبعد هوميروس يستطيع فرجيل أن يكون شاعرا، وبعد العرب لا يستطيع أحد أن يكتب؟ لقد ساوينا الاغريق غالبا وشأوناهم حينا. واذا شأونا الاغريق فقد شأونا جميع الامم ولكن ماعدا العرب! يالجنون! يالضلال! يالعبقرية إيطاليا الراقدة أو الخامدة!!! »

هذه ياسادتي صفحة واحدة من صفحات الثقافة العربية تعب فيها الايجاز وضاق عنها الوقت. ظهر فيها أثرها العلمي العالمي على عمومه وإجماله ناصع البيان مشرق الدلالة. وتراءى من خلالها الذهن العربي ساطع العبقرية باهر الجلالة. فهل من الاخلاص للانسانية والمدنية أن نترك هذا التراث الفكري العجيب يذهب

(البقية على صفحة ١٥)

رفائيـــــل [1]

للدكتور عبد الوهاب عزام

البارحة بعد نصف الليل أتممت قصة رفائيل قراءة . وكنت بدأت قراءتها منذ زمان بعيد فتطاول الأمد . وتثاقلت النفس بثاقل الغم والحزن على قلبي جوليا ورفائيل .

ما حسبت قط أن الحزن الذي شربته جرعات . وأشربه قلبي وأحسسته حينا بعد حين يبلغ بي هذا المبلغ . بلى : أذكر أني في إحدى الليالي وقفت القراءة اشفاقا على نفسي حينما بلغت برفائيل وجوليا حديقة منسو . وحم هنالك الوداع ! أذكر أني حينئذ وضعت الكتاب على حافة السرير . وألقيت على الوسادة رأساً ينوء بالهموم . فماج بي الليل وطار الفكر في أرجاء السموات . وقذف القلب بأحزانه زفرات . ودارت النفس في أعماق من الظلام والفكر ما لها من قرار . ولكني ماحسبت قط أن الحزن آخذ بي الى هذه الغاية . وأذكر في هذه القصة مواقف موجعة . ومشاهد مروعة . أذكر جوليا ورفائيل . وهما نفسهما ماساتان أحكم الله تأليفهما . وبعث بهما الى الأرض في صفحات الحادثات أو في صفحات لامرتين ليقرآ على مر الأيام . . وأذكر البحيرة مجيرة ، برجيه ، يوم جمع القضاء بين حبيبين لا يعرف أحدهما الآخر . فكأنهما التقيا على موعد بعد أن برح بهما الشوق . وأمضهما الانتظار . ويوم حان فراق ، اكس ، . ورحلت جوليا الى باريس فتبعها رفائيل يرقبها عن كثب وهي لا تدري . ويتجدها كلما عرض لها ما تنكره : حتى أبلغها دارها ثم رجع . وأذكر تلاقيهما في باريس يجتمعان على هوى عذري . وفرح هو أشد ضروب العذاب ، في ملتقى حبيبين هو أشبه بمأتم تهيأ فيه للقضاء الذي ليس منه مفر . ويوم يبيع رفائيل لؤلؤة أمه وهو يبلها بدمعه ليستطيع الاقامة على مقربة من جوليا . ويوم ذهب الى أمه فأخبرها أن الطبيب أشار عليه بالمسير الى سافوا . فلا تجد أمه بدا أن تقسو على أعز صديق وأنفس ذخيرة وأجل ذكرى : الشجرات اللاتي يظللن المنزل واللاتي حنون على هذه الأسرة دهراً طويلا ! فكان في ظلالهن مسارح اللهو ومدارج الصبا لرفائيل وأمه وأبيه فانظر كيف تضطرها الأقدار . أن تسلط الفأس على هذه الأشجار !

كل أولئك أذكره . وانما لذكرى غصة . ولكن ماحسبت قط أن يبلغ الحزن بي هذا المدى !

البارحة بعد نصف الليل أخذت الكتاب أقرأ الوريقات القليلة الباقية ونفسي تضطرب فزعاً مما سيلقاها في ثنايا هذه الصفحات التي بدت كأنها صحف الغيب تفتح عن المقادير واحداً بعد آخر .

حتى اذا بلغ رفائيل الكوخ الذي حل اليه جوليا . فلم ير الا ظلاماً ولم يسمع بين الظلام نأمة حي . فدار يقبل الجدار والجدار . حتى بلغ المكان الذي ركع فيه بين يدي جوليا وهي في غشيتها يوم البحيرة . ثم يتحامل الى جدول يأكل على حافته ما يمسك ذماءه . على ذكرى قاتلة ، وحرقة يعيا بها الوصف .

قرأت حتى جاء الملاح الى رفائيل برسالة من صديقه لويس يبلغه رسائل جوليا . فعاد رفائيل الى حجرته يسير الى مهلكه على شعاع ذاو من أشعة الشمس الغاربة . يفض رفائيل الغلاف عن رسالة لويس ثم عن رسائل باريس فاذا كتاب معلم بالسواد ، واذا خط ، ألن ، لا خط جوليا . يقرأ سطوراً سوداء تنعى اليه جوليا . وينظر ببصره الزائغ فاذا خط جوليا نفسها — أجل خط جوليا نفسها — ولكنها كلمة أرادت قلبها عليها وهي في غمرات الموت تعزي رفائيل عن نفسها . فلله ما أفظعها تعزية ! تركت رفائيل يخر مغشيا عليه . وخررت على فراشي فبكيت ثم لج بي البكاء .

وحاولت سدى أن أسكن جأشي أو أكفكف دمعي . ما تعمدت البكاء ولا رجوته . ولا خلت أن أنتهي اليه . ولكنه كان وحيا من الحزن والدمع لا أعرف من أين هبط . بل ثورة من هموم راكدة ، وأحزان كامنة . كانت قصة رفائيل لها كقدحة الزناد . أو كضربة مسحاة على نبع بدافع الثرى لينفجر .

كذلك انتهت بي قصة رفائيل . وكذلك أبكى لامرتين بعد مائة سنة شاعراً مجهولا يشبه لامرتين طبعاً مكتئبا . وقلباً منقبضا . ونفساً ملتهبة . شاعرا قد يبلغ به الاعتداد بنفسه أن يظن أن ليس بينه وبين أن يكون لامرتينا آخر الا « التأملات (١) » .

كذلك فعلت بي قصة رفائيل . فلما أفقت لم أدر ألساءه الى لامرتين أم أحسن . ولم أدر أأحمد صديقي الزيات أم ألحاه ؟

عبد الوهاب عزام

---

(١) كتبت بلندره يوم الجمعة ٢٣ صفر سنة ١٣٤٨ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩٢٩ بعد قراءة قصة رفائيل التي ألفها لامرتين الشاعر الفرنسي وترجمها الأستاذ أحمد حسن الزيات

(١) Les Méditations التي نشرها لامرتين سنة ١٨٢٠ م فكان فتحا في الأدب الفرنسي

هـــذا الغروب ...

للأستاذ راشد رستم

شهدت غروب الشمس فى كل ناحية من نواحى هذا الوادى الفسيح الممتد : رأيت الشمس من أعلى الهرم الأكبر تذهب مع ذهب الصحراء ، ورأيتها تختفى وراء صفحة الماء ، أو تودع حسرى خلف جبال ليبيا ، أو تغيب كاسفةً وراء الأفق بين أطلال وآثار ، أو تغوص فى لجة الغيب تحت اشراف المنائر وأعالى الأشجار ، أو تحتجب عن الأبصار وسط جمع من كثيف السحاب ، أو تذوب فى سماء صافية تمسحها من لوحة النهار يد الليل القاتمة — ولها فى كل حال ماشاءت لها الأيام من وحشة أو من رواء .

***

وهؤلاء القدماء آباء هذا القطر القديم كانوا يسيرون ، هادئين طائعين ، مع الشمس حتى الغروب : كم أعطتهم حياة وحرارة ! وكم أمدتهم بأسباب الخلود فى الخلود ! وهم اليوم قد غابوا عنها . أمّا هى فما غابت عنهم ولن تغيب عنا وإنما يأتى اليوم الذى نغيب نحن فيه كما غابوا وكما تلقيناها نحن عن الأجداد سيتلقاها عنا الأحفاد .

وهذه الشمس المانحة ، تسير عبر الوادى سابحة ، كما كانوا يقولون — تقبل عليهم نياماً وتتركهم أيقاظاً . تمنحهم بهجة النهار ، وتنزل عليهم سكينة الليل ، ولكنها بين ذلك قد تأتيهم وقت الغروب بالوحشة ذات الخفايا والظلمات ، حتى ليظنون فى يقين أن هذا الغروب وداع للنور وتسليم بظلمة الوجود .

يقطعون عن الحى الصاخب المتحرك ، ويدخلون البيوت الهادئة الساكنة كأنهم يدخلون القبور — وفى السكون مع الهدوء تنشأ الحركات — ولكنهم يتركون الفضاء الواسع والنجم الساطع ويخضعون لكابوس الليل الزائل ، يسيرون بالركب وئيداً مستسلمين ، يضمهم وينضمون اليه وهم فيه صامتون ، إلا ما كان أمراً تصارح بالسكوت ، أو زجراً لمريع بالهدوء ، أو همساً لآمل باليأس المقوّت .

***

أما أنا فما سئمت غروب فى هذا الوادى الخصيب . بل دنّى كل غروب ، فى اختلاف حالاته ، على انه حركة تتلوها حركات ، وانه علامة للفصل ، تنبىء عن وجه جديد بشروق جديد ، فى نور جديد بأمل جديد .. وهكذا حييت مع هذا الفاصل ، متصلا دائماً بالأمل الجديد ..

ولم أسأل نفسى ولن أسألها عما يكون مع الشروق الجديد . ولن أسأل غيرها عن غدها إذ الكل على الغد عيال . وما عرفنا عند الناس علم الغيب ولا عناوين الأيام .

إنما أناجى نفسى كل غروب : ماذا أعددت للغد أيتها النفس الساكنة فى قلق ، الآملة فى يقين ؟ ماذا هيأت من أثر يضاف إلى آثار سابقات ، أومن حسنة تمحو سيئات . أومن بسمة تذهب بالآهات . فيكون ذلك منك فهماً لمعنى الواجب بل لمعنى الحياة ...

حتى إذا سحبت الشمس بعد غروبها ذيل ضيائها وتمكّن الليل من الأحياء ، فانى أودع صاحبى وأقول : قم ياصاح فللغروب شروق ، وللمساء صباح ...

المعادى — راشد رستم

ضحى الاســـلام

هو الجزء التالى لفجر الاسلام

بحث فى الحياة العقلية للعصر العباسى الاول

تأليف

الاستاذ احمد امين

الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه عشرون قرشا

فلســـفة نيتشه

للأستاذ زكي نجيب محمود

لسنا نحسب أن داروين ، حينما أذاع رأيه فى تنازع البقاء وبقاء الأصلح ، كان يدور فى خلده أن ذلك الرأى سيكون له من العمق والسيطرة الفكرية ماله اليوم ، وأنه لن يقتصر على الأحياء من نبات وحيوان ، بل سيتعداها الى كل لون من ألوان النشاط الانسانى : فأساليب الحكم ، والدين ، والأدب ، والفن ، والفلسفة ، كل هذا وما هو أدق من هذا وأجل . يحاول الكتاب الآن أن يخضعوه اخضاعاً لقانون تنازع البقاء . فلسنا لانسرف فى القول اذازعمنا أن داروين هو رب الفكر الحديث ، يأتزر خطاه آلاف المفكرين والكتاب ، وأصبح بقاء الأصلح غرض الرمى فى الكثير الغالب من أبحاث العلم والفلسفة والفن جميعاً .

وفلسفة نيتشه هى واحدة من تلك الفلسفات العديدة التى يرجع نسبها إلى قانون داروين . فقد استولد نيتشه ذلك القانون واتخذ منه مقدمة ، ثم استخرج فلسفته كنتيجة لازمة لتلك المقدمة . ولم يجد التردد إلى نفسه سبيلا فى إذاعتها فى الناس على خطورتها ؛ واثقة ماوقعت من نفوسهم .

مادام قانون تنازع البقاء وبقاء الأصلح يسيطر على كل مظاهر الحياة ، فلا بد للواهن الضعيف أن يخور ويتلاشى ، ولا بد للقوة فى كل شىء أن تظفر آخر الأمر . وإذاً فالمثل الأعلى للفضيلة هى القوة دون سواها ، والضعف هو علة العلل وآفة التقدم . فأيا كانت الأخلاق التى تثبت قدمها فى معترك البقاء ، فهى الفضيلة وهى الخير وأيا كانت الأخلاق التى تخور قواها فتسقط صريعة فى الميدان لتخلى الطريق لسواها فهى الرذيلة وهى الشر .

هكذا يبدأ نيتشه منطقه ثم يتابع هذا المنطق الى نهايته . حتى يصل آخر الأمر إلى نتيجة خطيرة كل الخطر : إلى نبذ المسيحية بل إلى نبذ الأديان جميعاً مادامت تنشر مبادىء العطف والايثار والاستسلام ؛ ثم ينادى بدوره بوجوب القسوة والقوة والعنف لأنها قوية ، ولأنها أقدر على البقاء .

الانسانية فى حياتها وفى تقدمها تحتاج إلى القسوة دون الرحمة ، وإلى الكبرياء دون التواضع ، وإلى الذكاء والسيطرة دون الايثار . أما هذه المساواة والديمقراطية التى اتجهت إليها الشعوب فى التاريخ الحديث ، فانما تقف عقبة كؤوداً فى سبيل الانتخاب الطبيعى للبقاء .

فليس فى الكثرة العددية والجموع البشرية كل الانسانية المنشودة . ولكن فى الصفوة القوية العبقرية وحدها . وإذاً فليس من المنطق فى شىء أن تكون المساواة أساس الاجتماع . تلك المساواة التى تحد من قوة القوى ، وتضيف الى الضعيف قوة مصطنعة أبتها عليه الطبيعة . فلتنبذ الديمقراطية نبذ النواة ، ولتخل الطريق أمام القوة لكى تستطيع أن تتبوأ مكانها وتتحكم فى أعناق الجماهير . وليكن المثل الأعلى فى الحكم هو بسمارك وأشباهه الذين يسوسون الشعوب بالنار والحديد

السوبرمان

أراد نيتشه ان يقوض بناء الأخلاق السائدة من أساسه ، ليقيم على أنقاضه بناء خلقياً جديداً . أراد أن يبيد هذا النوع الانسانى ليخلق ضرباً آخر من الانسان قوياً عنيفاً ذكياً كما يريد : هو السوبرمان (الانسان الأعلى) .

فقد شهد التاريخ نوعين مختلفين من الأخلاق : أخلاق نبيلة سامية ، كانت شعار الشعوب القديمة ، وبخاصة الرومان . اذ كانت الفضيلة تعنى الرجولة والجرأة والشجاعة ، وأخرى وضيعة دنيئة ظهرت فى الشرق ، اصطنعها اليهود اصطناعاً أيام ضعفهم . حيث الفضيلة عبارة عن مجموعة من صفات ترجع فى أصولها الى الخور والاستكانة والذل . فالخضوع قد خلق التواضع خلقا . والعجز كون الايثار تكويناً . وهكذا نسج القوم حولهم نسيجاً من الأخلاق الهزيلة الخائرة يتدرعون بها حيث لامقدرة لهم ولا سلطان . ونزعت النفوس الى السلم والتماس النجاة . بعد أن كانت تلتمس مواضع القوة والخطر : فحل الخداع والمكر محل القوة ، والاشفاق والعطف مكان الصلابة والعنف ، وجاء التقليد دون الابتكار والانشاء . وقام الضمير حكماً يلتجأ اليه مقام التفاخر بالشرف .. فالشرف وثنى ، رومانى ، ارستقراطى : أما الضمير فأثر من آثار اليهودية فالمسيحية فالديمقراطية :

ويقول نيتشه إن الأنبياء استطاعوا بما أوتوا من قوة الشخصية ، وسحر البيان أن يزينوا للناس ذلك النوع الهزيل من الأخلاق ، حتى رسخت فى نفوسهم وأصبحت عقيدة ليس الى نبذها من سبيل . فانقلبت الأوضاع ، وأصبح الفقر والضعف هما جوهر الفضيلة ، والقوة والثراء عنوان الرذيلة .

وقد بلغ هذا التقدير الخلقى أقصى حدود التقديس أيام المسيح الذى جعل الناس جميعاً سواسية . ومن هنا اشتق العصر الحديث مبادىء الديمقراطية والاشتراكية ، التى يعتقد نيتشه أنها الطريق

المؤدية الى الدمار والخراب

ولكن الطبيعة تأبى الا أن تهدى الانسانية سواء السبيل ، تزودها بارادة غريزية لاتخطىء ولا تطيش لها سهام ، فأنت اذا أمعنت النظر فى الطبائع البشرية ، أيقنت أن هذه الأخلاق السائدة من عطف ورحمة وايثار وتضحية وما الى ذلك ، ليست الا ستاراً رقيقاً يخفى وراءه دافعاً غريزياً يتملك من الانسان قياده . نعم اذا أنت أمعنت فى تحليل النفس الانسانية ، وجدت « ارادة القوة » مستقرة فى صميم الأعماق ، تسير بالانسان حيث تشاء . أعنى أن الانسان يلتمس القوة والسيطرة فى كل ما ينزع اليه من أعمال وما يجيش فى نفسه من مشاعر ، وهذا الحب الذى يتخذه كثيرون دليلا على الايثار بحجة أن التضحية فيه واضحة لاتحتاج الى دليل . هو فى أعماقه رغبة فى التملك ، فما يبذله المحب فى سبيل حبيبه يدفعه ثمنا للسيطرة على مخلوق آخر !! بل يزعم نيتشه أكثر من هذا فيقول إن من يتفانى فى البحث عن الحقائق ، لايصرف مجهوده فى سبيل الله من دونه . بل هو فى الواقع يحاول أن يمتلك الحقائق قبل الآخرين .

وارادة القوة هذه تملى على الانسان ألوان الفلسفة وشتى ضروب الفكر ، فخطىء واهم من يحسب أنها تمثل الحقائق الواقعة . انما هى صورة منعكسة لرغباتنا . فالفيلسوف لايضع المقدمات الصحيحة ثم يستنبط منها حكمه ، ولكن الفكرة تنشأ وتتكون فى ذهنه أولا ثم يجىء بعد ذلك المنطق الذى يبررها .

فهذه الرغبات الغريزية المستترة وراء تلك الحجب الكثيفة من الأخلاق الظاهرة ، هذه « الارادة للقوة » هى التى توجه ميولنا وتكون آراءنا .

فالمنطق اذاً ثوب رياء نخدع به أنفسنا ، أو بعبارة أخرى ، تتخذ « ارادة القوة » من المنطق مبرراً لأعمالها أمام العقل الادراكى ، ولكن الرجل القوى لايحاول أن يستر ارادته وراء هذا الستار المنطقى الشفاف . الرجل القوى لايعرف الا منطقاً بسيطاً ينحصر فى كلمتين ، هما : « أنا أريد » ومتى أراد فلا حاجة الى التماس المبررات . ولكن جاءت المسيحية فعكست الأوضاع الطبيعية ، وأصبح الرجل القوى يستحى من قوته ، ولا بد له من البحث عن منطق لرغباته . وبذلك أخذت الأخلاق الارستقراطية القوية الصالحة تذوى وتندثر . ونهضت قطعان الشعوب تقيم على أنقاضها صرحاً جديداً للأخلاق التى تلائم ضعفهم ، وليس من سبيل الى الشك فى أنه اذا أرغمت أنوف الأقوياء ، وأخذت السوقة تتبوأ مكان الزعامة من الانسانية ، فهى سائرة بخطى حثيثة الى الدمار والفساد . ونحن بحاجة الى أن نقول اذا كانت الشفقة والرحمة والسلام خيراً ، فليست الصراحة والعنف والحروب بأقل منها نفعاً للمجتمع الانسانى . وبديهى أن هذه الأخلاق قد دافعت عن بقائها طوال العصور ، ولم تبق الا لأنها نافعة وصالحة . ولولا أن « الشر » خير لاختفى من الوجود . فمن الحق أن ننشد خيراً مطلقاً . بل لابد للأخلاق أن تتطور فى الخير والشر على السواء ، أى لابد للخير والشر أن يقفا جنباً الى جنب ، وأن يأخذ كل سبيله الى الارتقاء .

السوبرمان

مادامت الأخلاق تنزع الى القوة فى تطورها ، فغرض الانسانية لا يجوز أن يلتمس فى السمو بالطبقات جميعا . وانما يلتمس فى تكوين نخبة قوية صالحة : فى تكوين السوبرمان ، ومن العبث أن ينصرف المجهود البشرى نحو اسعاد السوقة . بل يجب أن يتجه بكل قوته نحو ابادة هذا النوع من البشر . وايجاد نوع أعلى مرتبة فى الأخلاق ؛ وانه لخير للانسانية ألف مرة أن تتلاشى وتندثر من الوجود اذا لم تكن سائرة نحو تحسين النوع والارتقاء به . فليس المجتمع غرضا فى ذاته . انما هو اداة لزيادة قوة الفرد ونمو شخصيته ، وهذا الفرد القوى السامى هو السوبرمان . الذى يؤمل نيتشه أن يخرج من أحضان الانسان الحالى ، وهو لايعتمد فى ذلك على الانتخاب الطبيعى ، بل يريد أن يتعمد تكوينه بوسائل التربية ، لأنه لاحظ أن تطور الحياة الطبيعى لا يعمل على ايجاد الفرد القوى الممتاز ، وأن الطبيعة أقسى ما تكون على خيرة أبنائها . فلا سبيل الى السوبرمان الا بالانتخاب الصناعى والأخذ بوسائل اليوجنية ، والتربية الكاملة . وهو يقترح لتحقيق ذلك أن نعنى بزواج الرجال الأقوياء من نساء ذوات قوة ممتازة . حتى لايكون الزواج لمجرد التكرار . بل أداة للتسامى . فاذا ماأنتج ذلك الزواج نسلا ، أعددنا له مدرسة خاصة تروضه على القسوة والعنف والجرأة والشجاعة . لايتردد فى تنفيذ أغراضه مهما اعترض سبيله من عقبات ، غير عابىء بشر أو بخير ، فليس الخير الا مايزيدنا شعوراً بالقوة ، وليس الشر الا ماتخور معه العزائم .

الارستقراطية

الارستقراطية وحدها هى الطريق الى السوبرمان ، فيجب أن نبحث الديمقراطية من أصولها ، وأن نحطم فى سبيل ذلك المبادىء

الشعب بأسرها لأنها والديمقراطية صنوان

الديمقراطية معناها الدمار . معناها أن يتصرف كل جزء من الكل العضوي كيفما شاء . معناها التحلل والفوضى . معناها استخفاف بالعبقرية والنبوغ . معناها استحالة ظهور العظماء ، اذ كيف يخضع العظيم لمهزلة الانتخابات . وهذه الشعوب تنبذ النفوس الكبيرة الحرة الجريئة نبذ الكلاب للذئب الجسور ؟ نعم تنبذ النفوس الثائرة على القيود والعادات ، والتي لولاها لظلت الانسانية حيث بدأت في ركود مميت . فكيف السبيل الى استنبات السوبرمان في مثل هذه التربة الجدباء ؟ كلا ! لا سبيل الى ذلك في مثل هذا المجتمع الذي يرفع على أكتافه رجل الأغلبية دون الرجل العبقري العظيم . في مثل هذا المجتمع الذي يحاول عبثاً أن يسوى بين أفراد جعلتهم الطبيعة درجات بعضها فوق بعض.

واذا كان نيتشه ينادي باقتلاع الديمقراطية وتحطيمها . فهو بالتالي يسخر من الاشتراكية لأنها وليدة الديمقراطية وربيبتها . فاذا كانت المساواة السياسية عدلا . أفلا تكون المساواة الاقتصادية عدلا كذلك ؟

لا ! العدل أن لا مساواة بين الرجال . والطبيعة نفسها تأبى هذه المساواة وتسعى جهدها في تباين الأفراد والطبقات والأنواع .

الحوت الكبير يلتهم السمك الصغير . هذه سنة القوة وخلاصة الحياة : فلتكن كذلك سنة الانسانية ومثلها الأعلى في الأخلاق بغير مواربة ولا رياء .

نقد

يدعو فردريك نيتشه الانسان الحالي الى الفناء والتضحية بنفسه في سبيل السوبرمان ، ومن التناقض الظاهر أن يصدر عنه نداء بالتضحية في الوقت الذي يؤكد فيه أن الأخلاق القوية الصحيحة هي التي تدور حول الأنانية والاعتزاز بالنفس ! كيف تريدني على انكار نفسي وتمهيد الطريق لسواي ، أستغفر الله بل تدعوني الى اخلائها وتركها لمن هو خير مني . وفي هذا من الاستكانة والضعف مايعود نيتشه فينكره أشد انكار : ولم لا أثبت أنا في الميدان ؟ ولم لا أكون أنا السوبرمان المنشود بعد اصلاح ما اعوج من طبيعتي ؟ كذلك يريد نيتشه أن يقوض الأخلاق السائدة التي تعتمد على الرحمة والايثار والعطف ، ويقول ان ذلك سلاح خلقه الضعيف خلقاً ليتقي به شر القوى وقسوته : وكم كنا نود أن نسأله كيف تغلب الضعيف حتى سادت آراؤه واصبحت أخلاقا معترفا بها ؟ وأين كانت الارستقراطية القوية عندما هبت جموع الشعب في وجهها هذا السلاح الرهيب ؟

الحق الذي لا شك فيه أن النزعات والأخلاق جميعا هي ما فرضه القوى على الضعيف فرضا . فان كان بها من الوهن شيء . فلا تقع تبعته إلا على عاتق القوى الذي يروج لحكمه ويشيعه

زكي نجيب محمود

ــــــــــــ

أثر الثقافة الغربية في العلم والعالم

(بقية المنشور على صفحة ١٠)

ضحية لخطأ الحكم في الماضي وسوء الفهم في الحاضر ؟ أن الثقافة اليونانية وهي أقدم من العربية لاتزال تستغل ، وأن الأدب الأوربي ليستمد من روحها قوة ومن قدمها جدة ، وأن ثقافة العرب وهي عصارة اذهان الشعوب وخلاصة أديان الشرق لحرية أن تبعث في آدابنا القوة وفي أخلاقنا الفتوة وفي نهضتنا الطموح والحركة على أن هناك صفحات ناصعات من هذه الثقافة في الخلق والأدب والفن سنجعلها موضوع محاضرة أخرى في فرصة أخرى ...

احمد حسن الزيات

ــــــــــــ

طبعت هذه المجلة

بمطبعة فاروق

٢٨ شارع المدابغ بمصر

وهي برهان عملي على اتقان
العمل والمحافظة على المواعيد

المدير : محمد عبد الرحمن — خريج جامعة لندن

بين كرامة الثقافة

وضآلة المهنـــة

في العالم الأوربي والأميركي ملايين المثقفين الذين تلقي بهم المقادير — مكرهين — إلى المهن الضئيلة في غير رفق ولا رحمة. فلا يقال إن العلم بذلك قد أهينت كرامته وانتهكت حرمته. لأنهم يفهمون العلم على أنه سبيل الرجولة التي تدفع بصاحبها إلى الضرب في زحمة الحياة في غير تردد أو تبرم، حتى يساهم في الانتاج وقد أنف من أن يعيش عالة على غيره.. أما نحن فنفهم العلم على أنه الوسيلة الى المكاتب الفخمة والمراوح الجميلة والأبهة المزموقة والفخفخة المغبوطة. ولذلك أصبحت للعلم في مصر كرامة «محلية» خاصة بهذا البلد التعس ينبغي إن ذكرناها أن نرفق بها وألا نشتد عليها وإلا فقد أدميناها بشدتك وآذيناها بقسوتك..!

هذا الترفه في مظاهر الحياة آية الأمم عندما تدب إليها الشيخوخة ويمضي عهد شبابها. ولست أجد شاهدا على صدق هذا أعدل من الدولة الرومانية التي أصابت في عهد فتوتها من الغنى والثراء والأسرى ما أدخل الغرور إلى نفوس أبنائها. فالوا عن فلاحة الأرض واستثمارها، وجنحوا عن الاشتغال بالجندية الى اللهو والترف. فلم يغن عنهم مالهم وعبيدهم وفنونهم وآدابهم وقوانينهم وعلومهم. وارتج عرش دولتهم أمام القبائل المتوحشة من الصقلب والكلت والجرمان. وما لبث التاريخ أن شهد مصرع الدولة العظيمة ومجدها يتوارى، وعزها يغرب، وجلالها يميل الى الانحدار..!

نعلم أن من طبيعة المجتمع أن يحن الى الكمال، وينزع الى المثل الأعلى. ولا يقيم على حب «الواقع» فيطمح الى ما ينبغي أن يكون. ولا أكاد أشك في أن المجتمع لا يسعه أن يحقق مثله الأعلى كما ينبغي أن يحقق ان ظلت المهن التافهة فيه مقصورة على الأميين والجهلة. لأن جمودهم الذهني وظلامهم العقلي يحولان دون تطور هذه المهن وتدرجها الى الكمال.. هكذا حدثنا تاريخ الزراعة في مصر.. شغل بها الجهلة ومال عنها المثقفون من طلاب الزراعة الذين انطلقوا كلما أتموا دراستهم يبحثون عن وظيفة يظفرون فيها بالمكتب والمروحة وما اليهما من راحة ونعيم.. فكانت النتيجة أن الفلاح المصري ما زال يستخدم من الآلات ما كان يستخدمه أجداد أجداده الأولين. ولو مارس المهنة المثقفون من طلاب الزراعة لتطورت على أيديهم وسارت الى الكمال بين الحين والحين. وبدت آياتها في شتى مناحيها. ولكن هؤلاء قد جهلوا أن غاية العلم محصورة في «خدمة المجتمع». ولست في شك من أن السائح الذي يرى معالم النهوض تبدو في مصر واضحة في المهارة والعلم والفن والاقتصاد، ثم يشهد الانحطاط الذي يدب في مهنة الزراعة عندنا سيأخذه الذهول والعجب.. اذا أردنا أن نحقق للمجتمع مثله الأعلى الذي ينشده ويسعى الى تحقيقه فلنعمد الى شتى طبقاته ونوجد بينها التعاون الفكري ليوجد التوازن في التطور الذي يعم الحياة ويسود مرافقها..

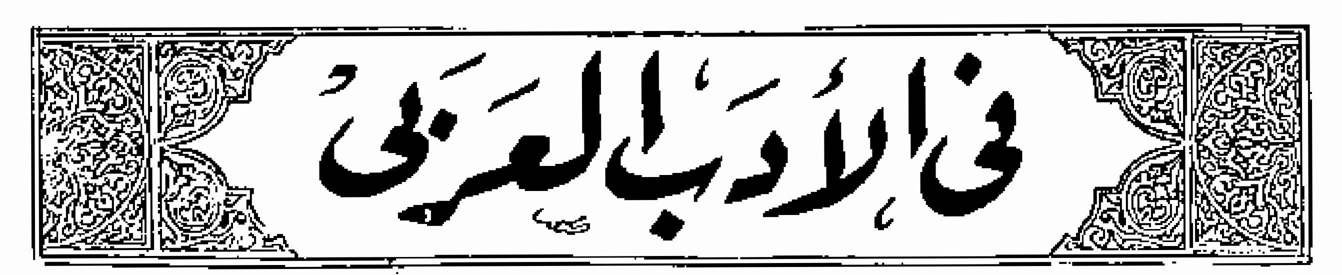
وأظن أن المجتمع يحسن الى نفسه كثيرا إن هو غير نظرته الى المهن التافهة، لأن الاحتقار الذي يصبه الناس عليها يباعد بينها وبين رغبة المثقفين في الاشتغال بها.. كان توماس كارليل يتغنى بالبطولة وينشد الانسانية عبادة أصحابها واجلال شأنهم. فما تاريخ الانسانية في زعمه الا تاريخ العظماء من أبنائها..! ولكن سبنسر يقول ان البطل يبني عظمته على حساب من يخل عليهم المجتمع باحترامه.. فمن جهاد الجندي المسكين استمد القائد عظمته ومن شقوة العامل المعذب استمد الثري راحته. فمن الظلم والجور أن نقول ان تاريخ الانسانية بأسرها تاريخ العظماء من أفرادها.

ولكن الانسانية قد بدأت تكفر عن سيئاتها حين هبت تحيي الجندي المجهول — في ميدان الحرب — وترفع من شأنه وتجل من ذكره. وقد بقي عليها أن تمضي الى اجلال الجندي المجهول في ميدان السلم، اذ ما زالت تعيش على عرق جبينه في الكثير من مناحي حياتها. وأكبر ظني أن هذا الاجلال الذي سيظفر به الجندي المجهول قبل أن يواريه التراب خير ما يمهد للمثقفين الطريق الى الاشتغال بالمهن الضئيلة.

تساءل صامويل سمايلز: أيهما يخفض أو يرفع من شأن الآخر: المهنة أم الانسان..؟ انما يرفع من شأن المهنة التافهة ناضج الفكر سليم العقل، وكأنما تستعير المهنة من جلاله جلالة. ومن رهبة مكانه قداسة.. وهذا بالاضافة الى انتاجها الذي سيربو ويزداد على يديه. واعتبر عكس هذا في المهن الرفيعة العالية يوم يشغلها من ليس أهلا لها..

ولا ينبغي أن نخشى على عبقرية المثقفين أن تنزوي وتفنى في تفاهة المهنة. فان العبقرية الصحيحة لا تستكين لظلم الزمان ولا تخضع لحكم القدر. وان آياتها لتبدو وتلوح ولو كرهت ظروف صاحبها وعملت على طمس معالمها.. فاتركوا المثقفين يعملوا ويضربوا في زحمة الحياة حيثما ألقت بهم المقادير. والجهاد خير محك للعبقرية وأصدق ميزان لها.

توفيق الطويل



العوامل المؤثرة فى الأدب

٢

ومن العوامل المؤثرة فى الادب الأديان وما يتصل بها من الأخلاق والمعتقدات، وتأثير الأديان فى الأدب أمر ثابت بأدلة الطبع والسمع فانها تخلق موضوعات جديدة لمصنفات جديدة. وتؤثر فى الأخلاق والعواطف تأثيراً يتردد صداه فى مناحى الأدب. على أن تأثيرها الذى يعنينا الآن هو إيجادها لأنواع خاصة من النظم والنثر. فان بنى الانسان منذ أفزعتهم تهاويل الطبيعة وأدهشتهم تعاجيب الفلك أحسوا بقوة القوى فألهوها كما فعل اليونان والهنود، أو نسبوا الأعاجيب المتعة المحيرة لمبدأ والتهاويل المفزعة الشريرة الى مبدأ آخر كما فعل الايرانيون الأقدمون. ثم امتلأت نفوسهم بجلالها وجمالها وعظمتها ففاضت على ألسنتهم بالأناشيد والصلوات. فكان من ذلك الشعر الدينى وهو مبدأ كل شعر فى كل أمة. ومن أقدمه أناشيد (رع) عند المصريين، وأناشيد (فيدا) عند الهنود البرهميين، وأناشيد (جاثا) عند الايرانيين، وأناشيد (أرفيه) عند اليونانيين، وسفر أيوب عند العرب

وعندى أن الشعر العربى لم ينشأ فى الصحراء على ظهور الابل، وإنما نشأ كذلك فى المعابد العربية أبان انفصال العرب عن الأسرة السامية الأولى، فظهر على ألسنة الكهان باسم السجع ومن أقدمه سفر أيوب على أرجح الآراء. وربما عدت الى بسط هذا الرأى فى فرصة أخرى

وتأثير الأديان فى الآداب غير متحد ولا متشابه لاختلاف العقول فى إدراك هذه القوة الخفية. فاليونان قد عددوا آلهتهم وجسدوها على صور البشر، ونسبوا اليها ما للانسان من كرم ولؤم وغضب وحلم وحرب وسلم وعفة ودعارة وزواج وولادة، ولم يميزوهم من الناس الا بالقوة والخلود. لذلك كان شعرهم الدينى فى الآلهة أشبه بشعرهم الدنيوى فى الملوك: يصف الخوارق والعظائم والقوة، ولا ينم عن رحمة الخالق وخشوع المخلوق. ولا يدل على الرجاء الذى يبعث على الطاعة. ولا على الخوف الذى يردع عن المعصية.

أما بنو اسرائيل فقد وحدوا الله ونزهوه عن النقص. ونزهوه عن المثل وملأوا صدورهم بهيبته وعزته وجلاله. فكان شعرهم فى ذاته العلية فياضاً بالتقديس والاجلال والابتهال والاتكال والبكاء والرجاء والخوف. كذلك يختلف تأثير الدين الواحد فى الأدب باختلاف الأزمان والبلدان وطبقات الناس ونظام الحكم، فان فى كل دين من الأديان السماوية فهما وجدانيا اجتهاديا يختلف ابناؤه فى فهمه اختلافهم فى الطبائع والمنازع والغاية. فاشعار الخوارج مثلا تضج بالدماء وتطفح بالحماسة لتعصبهم وتصلبهم وجعلهم غاية الاسلام جهاد مخالفيهم فى الرأى. واشعار الشيعة تفيض باجلال زوج البتول وصهر الرسول وتمجيد ذكرى بنيه وتمثيل آلامهم. ورثاء من قتل من اعلامهم. وأشعار الصوفيين تصف مقاماتهم وتذكر اشاراتهم وتكثر من الكناية بالخمر والسكر والعشق والعبق عن شدة تعلقهم بالله. ولا يقتصر تأثير الأديان على النظم وانما يؤثر كذلك فى النثر، فلولاها لما كانت النبوات عند الاسرائيليين، ولا التعازى عند الفرس، ولا خطب المنابر ومقامات الوعظ عند المسلمين والمسيحيين.

ومنها: العلوم النظرية والتجريبية. وتأثيرها العام فى ترقية العقل وتقوية الشعور وتنمية الصور لا يحتاج الى تمثيل ولا تدليل. ولكن لها تأثيراً خاصاً فى خلق أنواع طريفة من الآداب كالشعر التعليمى مثلا وهو نوع من الشعر يجمع بين رشاقة اللفظ ولطف التخيل وجودة الوصف ودقة البحث وحقائق العلم. وتراه فى الآداب الأجنبية القديمة والحديثة ارفع وامتع منه فى الآداب العربية، فان من الفضاضة على الفن والاساءة إلى الذوق أن تدخل فيه منظومة ابن عبد ربه فى التاريخ، وألفية ابن مالك فى النحو. وقد استحدث اليونان فى النثر المحاورات الفلسفية كمحاورات أفلاطون. وهى نوع طريف من الأدب الاغريقى قلده شيشرون فى محاوراته فى الأخلاق والفلسفة والبلاغة. كذلك احدث انتشار العلوم نوعا من القصص الخيالية تمزج فيها حقائق العلم بروعة

الخيال وغرابة الحوادث تحقيقا لرأى من الآراء أو تشويقا لعلم من العلوم كما فعل الفرنسيان فلامريون الفلكي وجول فيرن Verne القصصي . وكما صنع من قبلهما أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل الأندلسي في رسالة حي بن يقظان ، فقد أراد بوضع هذه القصة أن يشرح كيف يستطيع الانسان بمجرد عقله أن يتدرج من المحسوسات البسيطة الى أسمى النظريات العلمية . ولكنه يعجز عن ادراك أرقى الحقائق بغير وحي من الله أو هداية من نبي . ثم كان من نتائج العلوم التاريخية في صدر القرن التاسع عشر . وميل الجمهور الى دراسة الماضي ان ظهر في انجلترا القصص التاريخي . ابتدعه الكاتب الانجليزي (ولتر سكوت) واقتفاه في فرنسا (الفريد دفني) في رواية خمسمارس . وفي المانيا (جورج ايبرس) في قصته المصرية ورده . وفي مصر جرجي زيدان في رواياته الاسلامية . وللعلوم فضل ظاهر على اللغة في المادة والاسلوب . وأثر قوي في ترقية النثر خاصة لأنها تكسبه القوة والدقة والوضوح . وما ارتقى النثر في أمة من الأمم الا بعد تقدمها في الحضارة ورقيها في العلم . لأن النثر لغة العقل كما أن الشعر لغة الخيال . فالنثر اليوناني لم يرق الا بعد عصر هوميروس بأربعة قرون حين دون تاريخ توسيديد ومحاورات افلاطون وخطب ديمستين . والنثر العربي لم يرق الأوائل الدولة العباسية على يد ابن المقفع . والنثر الفرنسي لم يرق الا بتأثير الفلاسفة والرياضيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر كبسكال وديكارت .

ومن تلك العوامل أحوال السياسة الداخلية فان لهدوئها وجورها . ولانتقاض حبلها أو اتساق أمرها . أثرا بالغا في فنون الآداب يختلف باختلاف حاله

ففي خلافة معاوية مثلا انتشر الهجاء المقذع في العراق . وفاضت بحور الغزل الرقيق في الحجاز ، وعلة ذلك الأساسة هذا الخليفة . فقد كان يخشى العراق على عرشه الواهي الدعائم . فساسه بالتفريق واحياء العصبية واذكاء التنافس بين الشعراء والقبائل ليشغل الناس عن الخصومة في خلافته بالخصومة في أمر جرير والفرزدق والأخطل . وكان يستوحش من ناحية الحجاز فاعتقل شباب الهاشميين في مدنه . وسلط عليهم الترف وشغلهم بالمال وخلى بينهم وبين الفراغ فعكفوا على اللهو والصبابة والغزل . وبعد خلافة المتوكل العباسي ازدهر الأدب العربي وازداد ابتكارا وانتشارا وكثرة . وعلة ذلك السياسة أيضا . فان الخلافة العباسية قد انتقض حبلها في أواخر عهد المأمون وأصبح شعلا في عهد المتوكل باستقلال الولاة في فارس والشام ومصر والمغرب . فكان ضعف السياسة قوة للأدب لأن الشعراء والادباء والعلماء بعد ان كانوا مكدسين في بغداد لايريمون عنها تفرقوا في الممالك الجديدة فوجدوا من أمرائها وأجوائها ماساعدهم على وفرة الانتاج ورفع شأن الأدب . وللأحوال السياسية كذلك أثر في خلق فنون جديدة من الأدب أو ترقية ما كان منها . ومثل ذلك النوع الذي يسميه الفرنج بالخطابة السياسية كالخطب الرائعة التي ألقاها ديمستين في مجالس اليونان العامة حين كان فيليبس ملك مقدونيا يتربص بحرية أثينا وسلامتها ريب المنون . وكتلك التي ألقاها شيشرون في مجالس الاعيان دفاعا عن شؤون الجمهورية الرومانية . وقد نفق هذا النوع في مصر الحديثة على لسان الزعيمين الكبيرين مصطفى باشا كامل وسعد باشا زغلول . وهذا الفن وليد الحرية السياسية والحياة الديمقراطية والانظمة الدستورية . فاذا منيت الشعوب بالاستبداد أو طغيان الاستبداد تلاشى وانقرض ، كما تلاشى في اليونان حينما وقعوا في العبودية . وانقرض عند الرومان حين فدحهم طغيان القياصرة . وهناك الشعر السياسي أيضا كالشعر الذي كانت تصطنعه الاحزاب والفرق في صدر الدولة الاسلامية . ومن ذا الذي ينسى فيضان بحور الشعر وطغيانها في بغداد ودمشق حين أعلن الدستور العثماني ؟ لقد كان الظلام ضاربا على العيون . والجهل غالبا على الافئدة . والجمود مستوليا على العواطف . وقوى العرب المنتجة معطلة . وأياديهم العاملة مغللة . فكان اعلان الدستور بسمة الامل في قطوب اليأس ، وومضة المنارة في بحر مكفهر الجو بالضباب مضطرب الموج بالعواصف . فاهتزت النفوس وانطلقت الألسن وصدحت البلابل تنعى الليل وتبشر العيون بالصباح .

كذلك من هذه العوامل اختلاط الاجناس المختلفة العقليات والعادات والاعتقادات بالمصاهرة والمجاورة في أمة واحدة . وأثر هذا العامل أظهر ما يكون في دولة العباسيين في بغداد ودولة الامويين في قرطبة . فان حضارتيهما نتيجة اختلاط شعوب مختلفة لكل شعب منها خصائص ومزايا أكملت نقص الآخر وساعدته على العمل والانتاج ففي البلدين اتصلت المدنية السامية بالمدنية الآرية فالتقى التصور العميق بالتصوير القوي . والعقلية العلمية بالوجدان الشعري . وكان من أثر هذا اللقاح في الفكر والعقل مايعلل لنا وفرة المعاني الجديدة في شعر بشار وأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي . ولولا هذا اللقاح الخصب العجيب لظل الادب العربي ظامئ الجذوع دقيق الفروع ذابل الاوراق واهن المذاق قليل الثمر .

ومنها التقليد والاحتذاء . والتقليد فطري في الانسان

لا يستطيع بدونه أن يتكلم ولا أن يعلم ولا يملك نفسه ، كتناب عادة ولا تربية خلق . ولولا الاحتذاء لما كانت فنون الآداب . لأن الشعر والنثر إنما يصاغان على قواعد وأساليب خاصة . وما مراعاة هذه القواعد والأساليب إلا اقتداء الأديب بمن سبقه سواء أكان اقتداؤه مقصودا منه أم غريزيا فيه

على أن التقليد الذي نقصد إليه هنا هو تقليد أمة لأخرى لشدة ارتباطها بها ، أو لاعتقادها السمو في آدابها . وقد أشرت منذ هنيهة الى مثال من ذلك وهو ظهور القصص التاريخية في انجلترا وانتقالها الى الأمم الأخرى بالاحتذاء . ولقد كان للتقليد في الآداب القديمة شأن نابه وأثر ظاهر . فالشعر اللاتيني في عصر أغسطس عاف أساليبه الفطرية وأوزانه القديمة ، واغترف من عيون الشعر اليوناني فحاكاه في أوزانه وأنواعه ومعانيه ، والأدب الفرنسي قبل (رونسار) و(ماليرب) كان حائراً بين اللاتينية والاغريقية . والتمثيل انما نشأ بديا في كنائس رومية وباريس أثناء القرون الوسطة لتمثيل صلب المسيح وآلام الشهداء الذين أوذوا وقتلوا في سبيل المسيحية على نحو ما يفعل الفرس من تمثيل ما أصاب أهل البيت من الخطوب والاضطهاد والمحن . ثم انتشر التمثيل بالتقليد في سائر الأمم . ولما حييت الآداب اليونانية واللاتينية واطلع أدباء الغرب على ما صنف فيهما من الروايات التمثيلية تهافتوا على تقليدها واقتباسها فدخل فن التمثيل من جراء ذلك في طور جديد . ولو شاء الله لأدبنا الكمال من نقصه لألهم المترجمين في عصر المأمون أن ينقلوا روائع الأدبين الاغريقي واللاتيني من الشعر والقصص والروايات والخطب والملاحم كما نقلوا العلم والحكمة . إذن لتقدم أدباء العرب في ذلك ولسدوا في الأدب العربي خللا ما يزيد منه حتى اليوم . إنما استفاد الأدب العربي من التقليد في فن الحكايات والأمثال حين ترجم ابن المقفع وبعض الكتاب شيئاً من القصص الفارسي ككليلة ودمنة وهزار افسانه ودارا والصنم الذهب ، فكان ما ترجموه حديثا للعرب ونموذجا لهم في وضع ما وضعوه منها .

أما الأدب الفارسي والأدب التركي فهما صنيعة التقليد ونفحة من نفحات الأدب العربي ، فإن الفرس حينما استولى الاسلام على أفئدتهم ولغته على ألسنتهم ظلوا زهاء قرنين يقرضون الشعر بالعربية دون الفارسية . فلما هبوا في القرن الثالث يتذكرون مجد أجدادهم ، ويطاردون العربية ونفوذها من بلادهم ، ويوحون الى شعرائهم من أمثال الدقيقي والفردوسي أن يجددوا مفاخر الأسلاف بتأليف المنظومات القصصية والأناشيد القومية لم يجدوا ذلك ميسوراً إلا باحتذاء الشعر العربي واقتباس أوزانه وبديعه

وكذلك فعلوا في النثر فقد أخذوا يوشونه منذ أوائل القرن الخامس بوشي الألفاظ وغريب المجاز وزخرف البديع اقتداء بما نشر في أقاليم العجم الشمالية الشرقية من الكتب التاريخية العربية التي كتبت بالسجع المونق ككتاب اليميني الذي ألفه أبو نصر العتبي للسلطان محمود الغزنوي

وأما الأتراك العثمانيون فإنهم حين أخذوا يدونون أشعارهم في أوائل القرن الثامن اقتبسوا من الفرس بعض الأوزان العربية بدلا لأوزانهم القديمة . ولكنهم ابتداء من القرن التاسع أغفلوا أوزانهم واصطنعوا العروض الفارسي فجروا على مناهجه وفنونه . وظل الأدب التركي صورة من الأدب الفارسي يترسم خطاه ويردد صداه حتى منتصف القرن الماضي حين هب الوزير ضيا باشا المتوفى سنة ١٢٩٥ للهجرة يقوض دعائم الشعر القديم وينعى على الشعراء ما هم فيه من جمود وقصور ورق . فانضوى إليه رهط من الشعراء المجددين ككمال بك وأكرم بك وناجي افندي فانقذوا أدبهم من سخف التقليد ، وقووه بالابتكار والتجديد . هذا مثل من التقليد العاجز الذليل الأعمى . أما التقليد البصير القوي المستقل فهو الذي يهذب أدبنا اليوم ويتمم نقصه . فالأقصوصة والقصة والرواية ، والأسلوب المهذب والفن التمثيلي ، كل أولئك قد أخذ بفضل تقليد الفرنج ينبت في حقوله . ويضيف فصولا خالدة على فصوله .

هذه هي أقوى العوامل التي تؤثر في الآداب على اختلاف لغاتها . وهي تعمل إما مجتمعة وإما منفردة . والواجب على مؤرخ الآداب أن يحلل ما تركب من أفعالها المتنوعة كما يحلل العالم بالميكانيكا القوة الناتجة ثم يردها الى القوى البسيطة الفاعلة . وهيهات أن يقف الأديب على هذه العوامل ما لم يكن المؤرخ في عونه . ولا يتسنى للمؤرخ أدراك كنهها إلا بالاستقصاء البالغ والبحث الشديد في أحوال الشعب الذي يدرسه ويؤرخه . وكل تعليل لأطوار الأدب وظواهره قبل دراسة هذه العوامل ضرب من التخرص لا يطمئن إليه القلب .

البيروني (١)

« انه اكبر عقلية عرفها التاريخ في كل عصوره »

« سخاو »

تمهيد

قرأت في العدد الأول من الرسالة في مقاله (حلقه مفقوده للأستاذ أحمد أمين) مايلي:

« وبالأمس كنت أتحدث الى طائفة من المتعلمين عن البيروني العالم الاسلامي الرياضي المتوفى سنة ٤٤٠ هـ وما كشف من نظريات رياضية وفلكية. وان المستشرق الألماني « سخاو » يقرر انه أكبر عقلية عرفها التاريخ في كل عصوره وانه يدعو الى تأليف جمعية لتمجيده واحياء ذكره تسمى جمعية البيروني. فدلني أكثرهم أنه لم يسمع بهذا الاسم ولم يصادفه في جميع قراءاته، وهو يعرف عن ديكارت وبيكون وهيوم وجون ستوارت مل كثيراً ولكنه لايعرف شيئاً عن فلاسفة الاسلام ».

عند قراءة هذه القطعة تبادر الى ذهني أمران: أولا روح الانصاف عند بعض علماء الفرنج، ثانياً جهل المتعلمين منا بفلاسفة الاسلام والعرب وفحول علمائهم ... أما الأمر الأول فليس بغريب على رجل سيطرت عليه روح العلم الصحيحة التي لاتعرف غير توخي الحقيقة أن يجاهر بما يعتقد حتى ولو كان ما يجاهر به مما لايسر أبناء وطنه، على حين أننا نجد بعض علماء الغرب قد أغار على الكتب العربية وادعى مافيها لنفسه، وبعضهم لم يذكر المصادر العربية التي اعتمد عليها أو نقل عنها، وقد أتينا بأمثلة على ذلك وعلى أن العرب سبقوا الفرنج الى اكتشاف بعض النظريات والابحاث الرياضية في مقالات نشرناها في مجلة المقتطف الغراء.

وأما الأمر الثاني فقد يكون لدى هؤلاء المتعلمين مبرر ولاسيما أن تاريخ بعض رجالنا السالفين قد أحيط بسحب كثيفة من الابهام. وفقد البعض الآخر منه، وكان لكسلنا وخمولنا الأثر الأكبر في اهمال نوابغ العرب ونسيان مآثرهم في مختلف فروع المعرفة، ولكن مما لاشك فيه أن هذا التبرير حجة علينا ومن واجبنا بل من دعائم نهضتنا القومية أن نتولى أمر الكشف عن حقيقة رجالنا ومآثرهم بأنفسنا، وبذلك (وعلى الأقل) نضع حداً لادعاءات بعض المتعصبين وبعض المتفرنجين منا الذين يزعمون أن العرب لم يكونوا مخترعين مستنبطين، وانهم لم يكونوا الا نقلة عن غيرهم، وقد عنيت بوضع كتاب يبحث في أثر العرب على العلوم الرياضية وما أخذه الغربيون من هذه العلوم، وتأثير ذلك في تقدمها، والمقالة التالية تحمل من ترجمة نابغة من نوابغ العلماء المسلمين قال عنه سخاو: انه أكبر عقلية عرفها التاريخ في كل عصوره.

مولده ومنشؤه:

هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي أحد مشاهير رياضي القرن الرابع للهجرة ومن الذين جابوا الأقطار ابتغاء البحث والتنقيب. ولد أبو الريحان في خوارزم عام ٣٦٢ هـ — ٩٧٣ م ويقال انه اضطر أن يغادر مدينة خوارزم على أثر حادث عظيم الى محل في شمالها اسمه (كوركانج) وبعد مدة تركه وذهب الى مقاطعة جرجان حيث التحق بشمس المعالي قابوس أحد أحفاد بني زياد وسلوك وشمكير (١). ثم عاد الى كوركانج وتمكن بدهائه أن يصبح ذا مقام عظيم لدى بني مأمون ملوك خوارزم. وبعد أن استولى سبكتكين على جميع خوارزم ترك أبو الريحان كوركانج وذهب الى الهند فبقي مدة طويلة (ويقال انه سافر فيها أربعين سنة) يجوب البلدان ويقوم بأبحاث علمية كان لها تأثير في تقدم بعض العلوم. وقد استفاد البيروني من فتوح الغزنويين في الهند وتمكن من القيام بأعمال جليلة: فانه استطاع أن يجمع معلومات صحيحة عن الهند، ونشر شتات كثير من علومها ومعارفها القديمة. وأخيراً رجع الى غزنة ومنها الى خوارزم ولم يعرف بالضبط تاريخ وفاته. وانما الراجح أنه توفي سنة ٤٤٠ هجرية — ١٠٤٨ ميلادية.

تنقلاته العلمية ومآثره:

كان البيروني رياضياً وفلكياً وطبيباً ومؤرخاً وجغرافياً (٢). وهو أبرز شخصية بين علماء عصره الذين بفضلهم كان للعرب عصر ذهبي تقدمت فيه العلوم تقدمها المعروف. قرأ فلسفة الهند وله فيها وفي الرياضيات والفلك مؤلفات كثيرة، وهو من أوسع علماء الاسلام اطلاعاً على آداب الهند وعلومها ويقال انه ضرب بسهم وافر في الجغرافيا حتى أن أبا الفداء كان يعتمد أحياناً في أبحاثه الجغرافية على كتب أبي الريحان. قال سيديو: ان أبا الريحان اكتسب معلوماته المدرسية البغدادية ثم نزل بين الهنود حين

(١) اعتمدنا في كتابة هذه المقالة على ما كتبناه في مقتطف مايو سنة ١٩٢١ على مصادر لم تكن لدينا حين كتبنا عن البيروني في المجلة المذكورة

(١) صالح ذكي — آثار باقية ج ١ ص ١٢٠

(٢) كتاب تراث الاسلام Legacy of Islam ص ٣٢٢

أحضره الغزنوي فأخذ يستفيد منهم الروايات الهندية المحفوظة لديهم قديمة أو حديثة، ويفيدهم استكشاف أبناء وطنه وبيئها لهم في كل جهة مر بها. وألف لهم ملخصات من كتب هندية وعربية، وكان شيراً وصديقاً للغزنوي استعد حين أحضره بديوانه لاصلاح الغلطات الباقية في حساب بلاد الروم والسند وما وراء النهر. وعمل قانوناً جغرافياً كان أساساً لأكثر القسموغرافيات المشرقية. نقد كلامه مدة في البلاد الشرقية ولذا استند الى قوله سائر المشرقيين في الفلكيات، واستمد منه أبو الفداء الجغرافيا في جداول الأطوال والعروض وكذا أبو الحسن المراكشي... » ويعترف (سمث) في الجزء الأول من كتابه تاريخ الرياضيات أن البيروني كان ألمع علماء زمانه في الرياضيات. وان الغربيين مدينون لكتبه في معلوماتهم عن الهند وعلومها الرياضية. والبيروني ذو مواهب جديرة بالاعتبار، فقد كان يحسن السريانية والسنكريتية والفارسية والعبرية عدا العربية (١). وفي أثناء اقامته بالهند كان يعلم الفلسفة اليونانية ويتعلم هو بدوره الهندية (٢) ويقال انه كان بينه وبين ابن سينا مكاتبات في أبحاث مختلفة ورد أكثرها في كتب ابن سينا. وكان يكتب كتبه مختصرة منقحة بأسلوب مقنع وبراهين مادية. لكنه لم يعتد أن يوضح القوانين الحسابية بأمثلة ما (٣). قال البيروني عن الترقيم في الهند : ان صور الحروف وأرقام الحساب تختلف باختلاف المحلات، وان العرب أخذوا أحسن ما عندهم (أي عند الهنود (٤)) والقطعة التي قالها في ذلك هي لدينا ولا مجال لذكرها الآن. وهو من الذين بحثوا في تقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية، وكان ملماً بعلم المثلثات وكتبه فيه تدل على أنه عرف قانون تناسب الجيوب (٥). ويقال انه وبعض معاصريه عملوا الجداول الرياضية (للجيب والظل) وقد اعتمدوا في ذلك على جداول أبي الوفاء البوزجاني.

وعمل البيروني تجربة لحساب الوزن النوعي. واستعمل في ذلك وعاء مصبه متجه إلى أسفل، ومن وزن الجسم بالهواء والماء تمكن من معرفة مقدار الماء المزاح، ومن هذا الأخير ووزن الجسم بالهواء حسب الوزن النوعي (٦) واستطاع أن يجد الوزن النوعي لثمانية عشر عنصراً ومركباً بعضها من الأحجار الكريمة. وله أيضاً كتاب

(١) سمث وكاربنسكي ـ الارقام العربية الهندية ـ ص ٦
(٢) دائرة المعارف البريطانية مادة : Biruni
(٣) صالح ذكي ـ آثار باقية ـ ج١ ص ١٧٤
(٤) كاجوري ـ تاريخ الرياضيات ـ ص ١٠٠
(٥) كاجوري ـ تاريخ الرياضيات ـ ص ١٠٥
(٦) كاجوري تاريخ علم الطبيعة الفيزيكس ـ ص ٢٣

في خواص عدد كبير من العناصر والجواهر وفوائدها التجارية والطبية. وهو وابن سينا من الذين شاركوا ابن الهيثم في رأيه القائل بأن شعاع النور يأتي من الجسم المرئي الى العين (١) :

مؤلفاته : ـ

من أشهر مؤلفات البيروني التي وصلت الى ايدي العلماء كتاب ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية ـ وهذا الكتاب يبحث فيما هو الشهر واليوم والسنة عند مختلف الامم القديمة من أشوريين ويونانيين الى وقت البيروني. وكذلك في التقاويم وما اصاب ذلك من التعديل والتغير وفيه جداول تفصيلية للاشهر الفارسيه والعبرية والرومية والهندية والتركية تبين كيفية استخراج التواريخ بعضها من بعض. وتجد فيه ايضاً جداول الملوك آشور وبابل والكلدان والقبط واليونان قبل النصرانية وبعدها، وللملوك الفرس قبل الاسلام على اختلاف طبقاتهم. ولم يقتصر الكتاب على ذلك بل بحث في المتنبئين واممهم من اهل الأوثان واهل البدع في الاسلام، وغير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بالاقباط واعيادهم، واعياد النصارى على اختلاف طوائفهم ... (٢)

يقول كشف الظنون عن هذا الكتاب : « انه كتاب مفيد ألفه لشمس المعالي قابوس وبين فيه التواريخ التي تستعملها الأمم ... » ومنه ايضاً يستدل على ان البيروني اول من استنبط تسطيح الكرة. وقد فصل ذلك في كتابه المذكور الذي يدل ايضاً على ان له استنباطات جليلة في الفلك والرياضيات (٣) وقد ترجم « سخاو » E. C. Sackau كتاب الآثار الباقية المذكورة الى الانكليزية. وطبع عام ١٨٧٩ م في لندن (٤) وله كتاب تاريخ الهند، وقد ترجمه ايضاً سخاو الى الانكليزية وطبع الاصل في لندن سنة ١٨٨٧ م والترجمة فيها سنة ١٨٨٨ م (٥) وفيه تناول البيروني لغة اهل الهند وعاداتهم وعلومهم.

واعتمد عليه (سمث) وغيره من المؤلفين عند بحثهم في رياضيات الهند والعرب، وله كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة ـ وقد ترجم الى الانكليزية عام ١٨٨٧م ـ، وكتاب مقاليد علم الهيئة ما يحدث في بسيط الكرة ـ وفي هذا الكتاب بحث في (شكل الظل) اعترف فيه بان و الفضل

(١) تراث الاسلام ـ Legacy of Islam ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣
(٢) زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ ج ٢ ص ٣٤٦ طبعة سنة ١٩٣٠
(٣) « « التمدن الاسلامي ـ ج ٣ ص ١٩٠ طبعة سنة ١٩٣١
(٤) دائرة المعارف البريطانية مادة Biruni
(٥) زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ ج ٢ ص ٣٤٦

فى اسقاط الشكل الظلى لأن الوفاء بلا نازع من غيره . وقد كنا نشرنا هذا فى مقالنا عن البوزجانى فى مجلة المقتطف . وجاء ابو الريحانى فى بعض كتبه على ذكر قسم من الكتب القيمة التى دخلت فى زمن العباسيين والتى كان له اثر كبير فى تقدم علوم الفلك والرياضيات . فقد اتى على ذكر المقالتين اللتين حملها احد الهنود الى بغداد فى منتصف القرن الثانى للهجرة ، فالمقالة الأولى فى الرياضيات والثانية فى الفلك . وبواسطة الأولى دخلت الارقام الهندية الى العربية واتخذت اساساً للعدد (١) والثانية اسمها (سدهانتا) التى عرفت فيما بعد باسم كتاب (السند هند) ترجمها ابراهيم الفزارى وكان نقلها بداءة عصر جديد فى دراسة هذا العلم عند العرب (٢). مما مر نستنتج ان البيرونى كتب فى تاريخ الرياضيات عند الهنود والعرب . ولولاه لكان هذا الموضوع اكثر غموضاً مما هو عليه الآن . كما ان اكثر الكتب الحديثة التى تبحث فيه (فى الرياضيات عند الهنود والعرب) تعتمد فى الأغلب على كتبه كما تضح لمن يتصفح كتب تاريخ العلوم الرياضية . وله مؤلفات اخرى يربى عددها على المائة والعشرين ، منها : كتاب القانون المسعودى فى الهيئة والنجوم ، وقد الفه لمسعود بن محمود الغزنوى (٣) — وكتاب استيعاب الوجوه الممكنة فى صنعة الاسطرلاب — وكتاب استخراج الاوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى فيها ، وهو مسائل هندسية ادخل فيها طريقته التى ابتكرها فى حل بعض الاعمال — وكتاب العمل بالاسطرلاب — ومقالة فى التحليل والتقطيع للتعديل — وكتاب جمع الطرق السائرة فى معرفة اوتار الدائرة — وكتاب جلاء الأذهان فى زيج البتانى — وكتاب التطبيق الى تحقيق حركة الشمس — وكتاب فى تحقيق منازل القمر — وتمهيد المستقر لتحقيق معنى الممر — وكتاب ترجمة ما فى براهم سدهانه من طرق الحساب — وكتاب كيفية رسوم الهند فى تعلم الحساب — وكتاب استشهاد باختلاف الارصاد ، وقد الفه البيرونى لأن اهل الرصد عجزوا عن ضبط اجزاء الدائرة العظمى باجزاء الدائرة الصغرى — وكتاب الصيدلة فى الطب ، استقصى فيه معرفة ماهيات الادوية ومعرفة اسمائها واختلاف آراء المتقدمين فيها وما تكلم كل واحد من الاطباء وغيرهم فيه ، وقد رتبه على حروف المعجم »(٤) — وكتاب الارشاد فى احكام النجوم — وكتاب فى افراد المقال فى امر الظلال — وكتاب تكميل زيج حبش بالعلل وتهذيب اعماله من الزلل — وكتاب الجماهر فى معرفة الجواهر — ومقالة فى نقل ضواحى الشكل القطاع الى ما يغنى عنه — وكتاب تكميل صناعة التسطيح.

وله كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم . وهذا الكتاب لم يطبع بعد ولا بد ان تكون بعض نسخ خطية منه موجودة فى المكاتب الأوربية والمصريه . وهو لدينا فى نسخة خطية نسخت منذ تسعين سنة عن نسخة قديمة . وهو يبحث فى الهندسة والحساب والعدد ثم هيئة العالم ثم احكام النجوم وذلك « لأن الانسان لا يستحق سمة التنجيم الا باستيفاء هذه الفنون الأربعة »(١) وقد ألفه على طريقة السؤال والجواب ولغته سهلة سلسة . ونترك التفصيل عنه الآن لكتابنا الذى نؤلفه .

نابلس — فلسطين   قدرى حافظ طوقان

---

(١) مظهر — تاريخ الفكر العربى — ص ٣٦

(٢) « « « — ص ٣٢

(٣) ابن ابى اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ٢ ص ٢١

(٤) ابن ابى اصيبعة — طبقات الاطباء — ج ٢ ص ٢

---

(١) البيرونى — كتاب التفهيم لاوائل صناعة التنجيم — مخطوطة

من طرائف الشعر

الشاعر والسلطان الجائر

للاستاذ ايليا ابو ماضي

امر السلطان بالشاعر يوما فاتاه
فى كساء حائل الصبغة واه جانباه
وحذاء اوشكت تفلت منه اخمصاه
قال :صف جاهى ، فتى وصفك لى الشعر جاه
ان لى القصر الذى لا تبلغ الطير ذراه
ولى الروض الذى يعبق بالمسك ثراه
ولى الجيش الذى ترشح بالموت ظباه
ولى الغابات ، والشم الرواسى ، والمياه
ولى الناس ، وبؤس الناس منى والرفاه
ان هذا الكون ملكى ـ انا فى الكون اله !!

....

ضحك الشاعر مما سمعته اذناه
وتمنى ان يداجى فعصته شفتاه
قال : انى لا ارى الامر كما انت تراه
ان ملكى قد طوى ملكك عنى وعداه

....

القصر ، يبنى عن مهارة شاعر لبق ، ويغبر بعده عنكا
هو للالى يدرون كنه جماله فاذا مضوا فكأنه دكا
ستزول انت ولا يزول جلاله كالفلك تبقى ان خلت فلكا
انا من حواه بعينه وبلبه ولئن حواك وحزته صكا !

....

والروض ؟ ان الروض صنعة شاعر سمح طروب رائق جزل
وشى حواشيه وزين ارضه بروائع الالوان والظل
لفراشة تحيا له ، ولنحلة تحيا به ، ولشاعر يشلى
ولبلبل غرد يساجل بلبلا غردا ، وللنسمات والطل
ولديمة تذرى عليه دموعها كيما تفيه غوائل المحل
فاذا مضى زمن الربيع اضعته واقام فى قلبى وفى عقلى

....

والجيش معقود لواؤك فوقه ما دمت تكسوه وتطعمه
للخبز طاعته وحسن ولائه هو ـ لأنه الكبرى ، وبرعمه ،
فاذا يجوع بظل عرشك ليلة لك منه اسيفه ولكن فى غد
لسواك اسيفه واسهمه
اتراه سار الى الوغى متهللا لولا الذى الشعراء تنظمه ؟
واذا ترنم هل يغير قصيدة من شاعر مثل ترنمه ؟

....

والبحر ، قد ظفرت يداك بدره وحصاه ، لكن هل ملكت هديره ؟
امرجت انت مياهه ؟
اصبغت انت رماله ؟
اجبلت انت صخوره ؟
هو للدجى يلقى عليه خشوعه والصبح يسكب وهو يضحك نوره
هو للرياح تهزه وتثيره والشهب تسمع فى الظلام زئيره
للطير هائمة به مفتونة لا للذين يروعون طيوره
للشاعر المفتون يخلق لاهيا من موجه حورا ، ويعشق حوره
ولمن يشاهد فيه رمز كيانه ولمن يجيد لغيره تصويره
يا من يصيد الدر من اعماقه اخذت يداك من الجليل حقيره
لا تدعيه .. فليس ملكك انه كالروض جهدك ان تشم عبيره

....

ومررت بالجبل الاشم فازورى عنى عواسفه ، ولست اميرا
ومررت انت فارايت صخوره ضحكت ولا رقصت لديك حبورا !
ولقد نقلت لنملة ما تدعى فتعجبت مما حكيت كثيرا
قالت : صديقك ما يكون ؟ اقشعما ام ارقما ؟
ام ضيغما هيصورا ؟
اعوك مثل العنكبوت بيوته
حوكا ؟ ويبنى كالنسور وكورا ؟
هل يملأ الاغوار تبرا كالضحى ؟ ويود كالغيث الموات نضيرا
ايلف كالليل الاباطح والربى والمنزل المعمور والمهجورا ؟
فاجبتها : كلا . فقالت : سمه فى غير خوف وكاتما مغرورا ،

....

فاحتدم السلطان اى احتدام ولاح حب البطش فى مقلتيه
وصاح بالجلاد : هات الحسام فاسرع الجلاد يسعى اليه
فقال : دحرج رأس هذا الغلام فرأسه عبء على منكبيه
قد طبع السيف لحز الرقاب وهذه رقبة ترثار
اقتله .. واطرح جسمه للكلاب ولتذهب الروح الى النار !

....

ـ سمعا وطوعا سيدى ـ وانتضى عضبا عوج الموت من شفرتيه
ولم يكن الا كبرق اضا حتى اطار الرأس عن منكبيه
فسقط الشاعر معروضا يخمش الارض بكلتا يديه
كأنما يبحث عن رأسه فاستضحك السلطان من سجدته
ثم استوى يهمس فى نفسه وذو جنة ، امسى بلا جنته

....

اجل ! هكذا هلك الشاعر كما يهلك الآثم المذنب
فما غص فى روضة طائر ولم يتطفىء فى السما كوكب

ولا جزع الشجر الناضر … ولا اكتأب الجدول المطرب
وكوفيء عن فتله القاتل … بمال جزيل وخد أسيل
فقال له خلفه الساخر … ألا ليت لي كل يوم قتيل!

....

في ليلة طامسة الانجم … تسلل الموت الى القصر
من حرّاسه الجند والاسهم … والاسيف الهندية الحمر
الى سرير الملك الاعظم … ذي امر البر والبحر!!
ففارق الدنيا ولما تزل … فيها خمور واغاريد
ولم تعد حزنا عليه الجبل … ولا ذوى في الروض املود

....

في حومة الموت وظل البلى … قد التقى السلطان والشاعر
هذا بلا مجد. وهذا بلا … ذل. فلا باغ ولا ثائر
عانقت الاشلاء تلك الحلى … واصطحب المقبور والقاهر
لا يجزع الشاعر ان يقتلا … ليس وراء القبر سيف ورمح
ولا يبالي ذاك ان يعذلا … سيان عند الميت ذم ومدح

....

وتوالت الاجيال تطرد … جيل يغيب وآخر يفد
انحنت على القصر المنيف فلا … الجدران قائمة ولا العمد
ومشت على الجيش الكثيف فلا … خيل مسومة ولا زرد
ذهبت بمن صلحوا ومن فسدوا … ومضت بمن تعسوا ومن سعدوا
وبمن اذاب الحب مهجته … وبمن تأكل قلبه الحسد
وطوت ملوكا مالهم عدد … فكأنهم في الارض ماوجدوا
والشاعر المقتول باقية … اقواله. فكأنها الأبد
الشيخ يلمس في جوانبها … صور الهوى والحكمة الولد

البحر

للدكتور محمد عوض محمد

أيها الزاخر ذو الصدر الرحيب! … كم طوى صدرك من سر رهيب!
قد شهدت الكون والكون فتي … وسترعاه الى وقت المشيب.
كم قرون عصفت وانقرضت … وخطوب قد مضت اثر خطوب
وحيالك رزين. ناظر … بابتسام تارة أو بقطوب!
ساخراً مما يلاقيه الورى … من نعيم زائل أو من كروب
هازئاً مما أثاروا بينهم: … من جدال أو خصام أو حروب.
ثائراً حيناً. وحيناً هادئاً … باعثاً رعباً. وأمناً للقلوب!
مهلكا حيناً. وحيناً منقذاً … كعدو ناقم أو كحبيب
باسماً طوراً وطوراً عابساً: … في كلا الحالين ذو شأن عجيب.
لا بأس للدهر يوماً أزرقاً … بحر الاعين ذا حسن مهيب
حلة تزهو بها الدنيا كما … تخطر الحسناء في الثوب القشيب.
زرقة الفيروز تحكيها وإن … كبرت عن أن تضاهي بضريب.
عانقتك الشمس من جو السما … وهي تجري من شروق لغروب.
هل رأى العالم في غير كما … كيف يحلو مزج ماء بلهيب
وفلك الهادي، لا تزعجه … زعزع نكباء جدت في الهبوب.
لم تحرك منك إلا ظاهراً … دفعته لشمال أو جنوب
تحته قلب عميق ساكن … هازئ من حادث الدهر العصيب
ليت شعري ما الذي تضمره … فلك الهائل من أمر غريب!
عالم آباؤه قد أتعبت … فكرة الحاسب أو عقل الأريب

لقـــاء

للأستاذ محمود الخفيف

هزها الشوق والخيال ففتت … وحباها الغرام لحنا جميلا
أسرعت في مسيرها وتأنت … ثم مالت لتستريح قليلا

....

انظر الزهر كيف يرنو إليها … والمح العشب كيف يبدو نضيرا
وارقب الغصن كيف يحنو عليها … واسمع الطير كيف تشدو سروراً!

....

فتن الكون كله بفتاة … بث فيها الجمال سحراً حلالا
قد تبسمت على بساط نبات … كست الكون بهجة وجلالا

....

هي كالزهر رونقاً وبهاء … وهي كالطير خفة ودلالا
هي كالماء رقة وصفاء … صاغها الله للجمال مثالا

....

هي كالصبح روعة وابتساما … وهي كالفجر رهبة وحياء
وهي كالشمس حدة واحتداما … وهي كالبدر رقة وسناء

....

أطلقت في الخلاء صوتاً رخيما … مثل سجع الحمام عند البكور
هادئاً ناعماً شجياً رخيما … دق في الوصف عن أدق الشعور

....

ذكرت حبها وقالت كلاما … من رقيق العتاب سامي البيان
لم ترد بالعتاب إلا سلاما … وحديث العتاب جم المعاني

....

ضحكت زهوة ولكن عراها أو هدا السرور منى عجاب
عبست فجأة وغارت قواها وسرى الهم نحوها والعذاب

....

انظر الدمع كيف يجرى سخينا أغرق الخد ثم يأبى انقطاعا
واسمع اللحن كيف صار أنينا علأ القلب رأفة والتياعا

....

هتفت باسمى وهى تحسب أنى لا أراها ولم أزل فى بعادى
ويح قلبى! أيهرب القلب منى؟ ويح نفسى! أشعلة فى فؤادى؟

....

أبصرتنى فكفكفت مقلتيها وعراها وقد رأتنى اضطراب
وعرانى وقد هرعت اليها نشوة ثم رجفة واكتئاب

....

قد دهانى عند اللقاء اختبال وعصانى فلم يترجم لسانى
حين لم يبق للسان مجال ترجم الدمع عن أدق المعانى

....

أمهلتنى هنيهة ثم قالت ويح نفسى لقد سمعت عتابى
واطمأنت لحيرتى ثم مالت تطلب العدو وهى ترجو اقترابى

....

قلت مهلا ترفقى بفؤاد شفه الوجد والحنين اليك
جئت أسعى اليك بعد بعاد ووضعت الفؤاد بين يديك

....

لست أرضى الخلود عنك بديلا فحياتى رهينة بهواك
لا ولا المجد أرتضيه خليلا غاية المجد أن أنال رضاك

....

لك نفسى إذا أردت فداء أنت روحى وأنت غاية نفسى
لا أرى فى الوجود عنك عزاء أنت عينى وأنت سمعى وحسى

....

أطرقت عفة وأغضت حياء إذ رأتنى محدقا فى اشتياق
وأرتنى تمنعا وإباء وإباء الدلال حلو المذاق

....

لست أنسى جمال ذاك المحيا بين زهو الصبا وطهر العفاف
وحديثا وعاه قلبى شهيا أين من وصفه بليغ القوافى؟

....

لست أنسى طلاقة وبهاء وائتلاقا وعفة وابتساما
لست أنسى تعففا وحياء وانقباضا وفطنة واحتشاما

....

لست أنسى تلهفا وافتتانا وهى تصغى الى حديث اغترابى
لست أنسى ترفقا وحنانا ما أحيلاه بعد طول الغياب!

....

إن هذا اللقاء يملأ قلبى كل حين مسرة وهناء
آها على السعاد وحسبى ذاك حتى يجود دهرى عزاء

ثم مــــاذا؟

ثم ماذا يا دهر؟ هل من جديد أجتنى منه لوعتى وعنائى
هات ما قدر القضاء علينا ولنغص كأس عيشنا بالشقاء
لست أخشى القضاء إن قصد العد ل ولكن أخاف ظلم القضاء
ورضينا بالظلم. لو أن دهرى ينتهى ظلمه بهذا الرضاء!

سخريات هذى الحياة وسر لم يزل غامضا على الأذكياء
أى معنى للزهر يولد فى الرو ض صباحا وينتهى فى المساء؟
أى معنى للحسن أصبح فيه كل صب نضوا من البرحاء
ثم يخبو ضياؤه حتى كأن لم يك بالأمس بالوضىء الرواء
وترى دمعة الحنين اليه حول الدهر سيرها للرثاء!

غدرات الأيام تأتى سراعا وسراعا تمضى ليالى الهناء
رب ليل ظللت أرشف فيه كل ما شئت من معانى الصفاء
ورأيت الغرام أيقظ منى شعر نفس أشفت على الإغفاء
فخلقت البديع من كل معنى وجلوت الجمال للشعراء
هكذا بت، لا فؤادى شاك من هواه، ولا حبيبى ناء
فأتى الصبح بالخطوب التوالى من عذاب وفرقة وجفاء
فتساءلت: كيف جرع قلبى غصة البين بعد حلو اللقاء؟
أين قلبى؟ فقدته فى غرامى.. أين عينى؟ أذبتها فى بكائى..
ورجائى أضاعه لى دهرى فى شبابى. يا رحمتا للرجاء!

لسواء على عشت سعيدا أم تمنيت الحياة فى بأساء
فالزهور التى ذوت ظامئات كالزهور التى ذوت فى الماء
والطيور التى تغرد فى الأ يك سرورا مصيرها للبكاء..
عشت فى عالم، تهيج شجونى كلما قيل: عالم الأحياء
علمونى كيف الغناء لأحيا حانيا بينهم حياة الرخاء
وامنحونى بعض الرجاء لعلى أرتوى غلة ببعض الرجاء!

مصطفى كامل الشناوى



الادب العربى والادب الفارسى

للأستاذ عبد الوهاب عزام

أستاذ الأدب الفارسى بكلية الآداب

٣

وكان من آثار هذا الاختلاط والتنافس ظهور الشعوبية من فرس وغيرهم، وهم الذين قاموا يردون على العرب دعواهم فى فضلهم على الأمم. ولم يقتصر الشعوبية أن يسووا أنفسهم بالعرب، بل تمادى الجدل بهم الى تفضيل غير العرب عليهم. كان من الشعوبية غير الفرس. وكان من الفرس أنصار للعرب. ولكن النزاع كان فى معظمه نزاعاً بين العرب والفرس خاصة. وقد تناضل الفريقان عن كثب. وأرسلوا الكلام الى غاياته فى غير تحرج.

فعلان الشعوبى الفارسى وهو نساخ فى بيت الحكمة أيام الرشيد والمأمون. كتب كتاب الميدان الذى هتك فيه العرب وأظهر مثالبها، كما يقول ابن النديم. وسهل بن هارون صاحب خزانة الحكمة فى عهد المأمون كان شديد العصبية على العرب، وقد كتب رسالة فى البخل وكأنه أراد بها الزراية بالجود الذى كان عمدة مفاخر العرب. وسعيد بن حميد بن البختكان لم يتحرج، وهو على مقربة من الخلفاء، أن يكتب كتابا يسميه فضل العجم على العرب. وأشباه هؤلاء كثيرون. وقد استمر النزاع فى الكتب عصوراً طويلة. وليس يسعنا أن نستقصيه الآن.

....

بعد هذا كله نسأل السؤال الذى يفهم جوابه استنتاجا مما تقدم: ما أثر الفرس فى الآداب العربية؟

مهما تحدث الناس عن النزاع بين العرب والفرس. فان هذا النزاع لا يشرح لنا كل شىء. كان المتنازعون إما من الرؤساء ومن التف حولهم، وإما من الطامعين فى الزعامة والمناصب. فأما العلماء، أكثرهم فكانوا كدأبهم فى كل زمان يعملون ولا نسمع أصواتهم، وهم الذين تعاونوا على اغناء اللغة العربية بالكتب فى شتى الفنون. فقد تقدم الفرس النجباء لحمل الأمانة العلمية منذ العهد الأموى، وتابروا. فاذا هم المتقدمون فى كل فن: فى التفسير. والحديث. والفقه. حتى علوم العربية من نحو وصرف وعروض. والآداب العربية شعرها ونثرها، قديمها وحديثها، وما عنوا بالكلام عن الفرس والعرب. وكانوا يتحرجون أن يخوضوا فى هذا، وكان حسبهم أن ينصروا الدين وعلومه. ولو كان لابد لهم أن ينحازوا الى أحد الفريقين لآثروا نصرة العرب تديناً وتقوى. وحسبنا أن نذكر هنا أمثال الحسن البصرى، والبخارى، ومسلم، والامام أبى حنيفة، ومحمد بن جرير الطبرى، وابن قتيبة، وابن فارس. على أن المتعصبين أنفسهم قد اتخذوا العربية لغتهم، فلم يكن لهم بد من امدادها بمعارفهم طوعا أو كرها. والحق ان كراهتهم للعرب لم تكن كراهة للغة العربية. وأصدق شاهد على هذا أبو عبيدة اللغوى: كان شعوبيا متعصبا على العرب، وأصله يهودى فارسى، وأنت تعلم ما أجدت مؤلفاته على اللغة العربية، وما بذل من جهد لحفظها ورواية آدابها، ومن هذه الآداب كتابه فى مثالب العرب.

للفرس يد أخرى على الآداب العربية، هى ترجمتهم ذخائر لغتهم الى اللغة العربية ترجمة حاذق قد اتخذ العربية من لغته بديلا. ولعل عصبيتهم حفزتهم الى هذا ليحفظوا آثارهم من الضياع وتقوم لهم الحجة بما يترجمون على فضل آبائهم، وعظم حضارتهم. وقد بدأت هذه الترجمة — فيما يظن — أيام الخليفة هشام بن عبد الملك: ترجم جبلة بن سالم كاتب هشام سير ملوك الفرس، ثم جاء زعيم المترجمين ابن المقفع، وعبد الحميد بن أبان، وآل نوبخت. وقد عد صاحب الفهرس أربعة عشر مترجما غير ابن المقفع وأسرة نوبخت.

والكتب التى ترجمت من الفارسية أقسام ثلاثة:

(١) كتب فى الحكمة: وهذه ليست ذات خطر. فانما هى فلسفة اليونان جاءت من طريق الفرس، وكان العرب يأخذونها من مصادر خير من الفارسية.

(٢) كتب فى التاريخ والقصص: مثل كتاب (خداى نامه) أو سير الملوك. وكتاب التاج فى سيرة أنوشروان اللذين ترجمهما ابن المقفع، وسيرة أردشير. وسيرة أنوشروان. اللتين ترجمهما أبان

اللاحقي . وبعضها مأخوذ عن السجلات الرسمية الفارسية . وهذه الكتب لها أثرها في كتب التاريخ العربي . وهي أصل لكل ما في الكتب العربية من تاريخ الفرس وأساطيرهم . فأخبار الساسانيين في الطبري مثلا مأخوذة منها . يثبت هذا مقارنة الكتب العربية بعضها ببعض وبالكتب الفارسية كالشاهنامه . فهذه الكتب على اختلاف مصادرها المباشرة تتفق في سرد التاريخ اتفاقا يؤدي الى الاعتقاد بأنها أخذت من أصل واحد .

(٣) كتب المواعظ والآداب والسياسة وما يتصل بها :

مثل عهد (أردشير بابكان) الى ابنه سابور . وعهد أنوشروان الى ابنه هرمز . وجواب هرمز اياه . ورسالة كسرى الى زعماء الرعية . وكتاب (زادان فرخ) في تأديب ولده . وآيين نامه الذي ترجمه ابن المقفع . وقد أمدت هذه الكتب اللغة العربية بثروة من الحكم الأخلاقية والأقوال المأثورة تتجلى في مثل كتب ابن المقفع : كليلة ودمنة . والأدب الكبير . والأدب الصغير . واليتيمة . وهي أصل الكتب الأخلاق العربية التي ألفت من بعد . ومن هذا النوع الكتب التي عرفت باسم المحاسن ، أو المحاسن والمساوى ، مثل : المحاسن لعمر بن الفرخان الطبري (في عصر المأمون) . والمحاسن المنسوب لابن قتيبة . والمحاسن والمساوى للبيهقي . والمحاسن والأضداد للجاحظ . فهذه الكتب لها نظائر في الفهلوية ألفت حتى في العصر الاسلامي . وهي معروفة باسم شايد نشايد ، أو (شايسة نشايسة)

كتب التاريخ وكتب المواعظ لها أثر كبير على الأدب العربي بالمعنى الأخص . أعني الكلام البليغ نظمه ونثره ، فهذه الأساليب السهلة التي تقدم بها عبد الحميد وتلاه فيها ابن المقفع وغيره تأثرت بالأساليب الفارسية كما كانت موضوعاتها فارسية . وقد ذكر أبو هلال العسكري في الصناعتين وهو يحتج على أن البلاغة ترجع الى المعاني : ذكر أن الذين عرفوا لغات غير العربية نقلوا بلاغتها الى العربية في كتابتهم ، وضرب مثلا بعبد الحميد الكاتب اذ أجدت على العربية بلاغته الفارسية . وأمر آخر يرجع الى الشعر : هو الشعر المزدوج الذي نظم به أبان بن عبد الحميد كتاب كليلة ودمنة وغيره . فقد نظم شعراء الفرس فيما بعد كل ما نظموا من قصص في هذا النوع من النظم وسموه المثنوى . فلعل هذا النوع من أثر الفرس على اللغة العربية أيضا على قلة معرفتنا بحال الشعر عند الفرس قبل الاسلام .

« يتبع »

طرف من شعر السلاطين

هذه طرف من شعر سلاطين آل عثمان . وقد نبغ منهم شعراء كثيرون ، ولبعضهم دواوين متداولة . وأعظمهم أثراً في الشعر بايزيد الثاني . ومحمد الفاتح . وسليم الأول . وسليمان القانوني . وسليم الثاني . (وكل واحد من هؤلاء أب لمن بعده) ثم مراد الثالث . ومراد الرابع . ولكل من هؤلاء السلاطين الشعراء اسم عرف به في الشعر فالفاتح « عونى » وسليمان القانوني « محبى » وهلم جرا .

وقد يشوق القارىء أن يسمع الى السلاطين يتحدثون عن سرائرهم ليرى أن الدولة والسلطان لا يرفعانهم عن مستوى الآلام والآمال .

ومن يظن أن السعادة ملك وغنى وصيت وجاه وجبروت فليسأل سليمان القانوني . وارادته قضاء محتوم . وقوله في العالم قانون . ليسمع أن السعادة ليست ملك « سليمان » ، وأن العروش لا تسمو على الأشجان .

السلطان محمد الفاتح « عونى »

أيها الساقي هات المدامة ! فسيذهب البستان من اليد .
سيأتي الخريف ، وتذهب الحديقة والربيع من اليد .
أيها الحبيب ! أوف بالعهد ، ولا يغرنك الجمال والنضرة

* * *

يا مليكي ، قد جعلتني أسيراً في سلسلة طرتك .
ويارب لا تحررني من هذه العبودية .
جور الحبيب ، وطعان العدو ، وحرقة الفراق ، وضعف القلب ،
لهذه الألوان من الآلام خلقتني يارب !
قد اجتمع على احراقي وهدمي
حرقة القلب ، ونار الآهات ، ودمع العين .

السلطان بايزيد الثاني « عدنى »

يبدي لنا الفلك حيناً جاوروفاء .
ويتقلب حيناً فيبدل بالنعمة ألف نقمة !
ما عهدت من قبل تلك الآلام التي احتملت في سبيل العشق
وكذلك ترى هذه البدور العاشق ما لم يره
ماذا أتعامل في طريق العشق غريبا !
والجبلات يتغامزن في .

(البقية على صفحة ٣٨)



معنى الشـــعر

للشاعر الأنكليزى درنكووتر

« المستر جون درنكووتر نزيل مصر الآن من أقطاب الشعر الانكليزى المعاصر وله عدة مجموعات شعرية وقطع مسرحية شهيرة . ولد سنة ١٨٨٢ وبدأ حياته العملية كاتبا فى إحدى وكالات التأمين وهو الآن أستاذ الأدب الانكليزى بجامعة برمنجهام وأشهر مؤلفاته « إبرهام لنكولن » وهى قطعة مسرحية رائعة . ومنها مجموعة شعرية عنوانها « رجال وساعات » وهى أولى مجموعاته و « القصبان » وغيرها . وقد دعت الجامعة المصرية المستر درنكووتر ليلقى خمس محاضرات عن الشعر الانكليزى فألقى الأولى منها يوم الخميس ١٧ فبراير فى الجمعية الجغرافية الملكية وموضوعها « معنى الشعر » وهذه خلاصتها »

قال مستر درنكووتر :

تقوم اليوم كثير من الصعاب الخطيرة والمسائل الهامة التى تزعج معظم دول العالم . وهذه المسائل تشغل عقول المفكرين جميعا . ولكن أحداً لم يوفق الى حلها . بيد أنهم على يقين من أمر واحد : هو أن هذا الحل لا يحقق مالم نتناول مسائلنا بروح متبادل من التفاهم وحسن النية . وهذا هو الجوهر . فالناس لا يودبعضهم لبعض سوى الخير ، ولكن ذلك لا يتم إلا بالأحتكاك الشخصى : فاذا ما اقتنعنا بوجوب التعامل بتعقل ، خفت متاعبنا .

« ورمز هذا الروح المشبع بالتفاهم وحسن النية : هو الشعر . فالشعر يعنى بالأشياء الكونية الخالدة الخالقة . والشعر يبعض الظلم ، وتبديد النشاط البشرى ، وخيبة الأمل . وقــد خلق للأحتشام ، والتسامح ، والأحترام المتبادل »

« فما يشجع إذن أن يعمل شئ فى تلك الأيام العصيبة لتقوية التفاهم بين الشعوب . وهذا بلد (يعنى مصر) قد دعا شاعراً من بلد آخر ليأتى ثم يتحدث عن شعر بلاده . وهى بلاد ذات لغة وتقاليد ، وذات أغراض سطحية أخرى . فهذا فى نظرى أمر وافر الحكمة : وإنى لفخور بأن أنتهز هذه الفرصة التى قد يعدها كثير من الساسة خارجة عن نطاق علمهم ، ولكنى أراها عملا حراً كريما من أعمال السياسة »

ثم قال مستر درنكووتر . إنه سيحاول أن يبين فى محاضراته أمرين : الأول أن يلفت النظر إلى جمال الشعر الانكليزى فى ذاته ، والثانى أن يبين أن الخـــلافات السطحية بين الشعر الأنكليزى والشعر المصرى (العربى) ليست فى الواقع أكثر من سطحية . وإنه عندما نتأمل الحقائق التى يعنى بها الشعر . نجد الحياة البشرية تضطرم فى نفس الشاعر . سواء أكانت بين الفلاحين المصريين أم بين الفلاحين الانكليز ، أو بين طلبة جامعة إكسفورد . وكامبردج أم بين طلبة جامعة القاهرة . أو شاعر أرلندى مثل يتس Yeats ، أو شاعر عربى مثل شوقى ثم قال أنه قرأ « مجنون ليلى » التى ترجمها مستر اربرى ، فدهش إذ رأى مبلغ ما هنالك من تشابه بينها وبين ما يكتبه شاعر كيتس مثلا

« ولكن يجب أن أقول أنى لم أدهش . لأننا نعرف أن هذه هى طريقة الشعر . فالشعر لا يعرف الحواجز التى تقيمها بين الشعوب مصالح التجارة أو السياسة . بل تقيمها العادة والأقليم والشعر يذهب الى أعماق الحياة ويرى أن أعماق الحياة لا تختلف بالنسبة لمختلف الشعوب . وأنها واحدة فى العالم بأسره »

« فاذا كنت أحدثكم فأرجو الا تعتبرونى سائحاً من بلد أجنبى . ولكن صديقا يتحدث باسم الشعر عن أشياء . يجب الا يظن متأملاها أن أحدهما غريب عن الآخر : واسمحوا لى أن أكون جريئاً . فاستميح عفوكم فى بيت لشاعركم شوقى

ولست أعتقد . بعد الذى غمرنى به المصريون من العطف . أنى رجل متطرف .

ثم قال مستر درنكووتر : « ما هو الشعر ؟ يمكن أن نقول أنه « الفن » فالفن فى كل خواصه الجوهرية كالشعر سواء بسواء . والشعراء لا يخلقهم الشعر . ولكن الشعراء هم الذين يعنون العالم بعلم النظريات الشعرية . وإذن فالشعر هو فهم تام للتجارب . وإبراز هذا الفهم فى صيغ الألفاظ . وعقولنا جميعاً مهما اختلفنا فى الجنس واللون والمركز والآراء والأطماع تستقبل جميعاً فى كل وقت أسفاراً ضخمة من التجارب . والمسألة هى كيف نفهم هذه التجارب .

(البقية على صفحة ٣٠)

كلمات فى البحث العلمى

ترجمة الاستاذ احمــــد امين

قال فرنسيس بكون :

«لم أجد نفسى صالحاً لشئ صلاحيتها لدرس الحقيقة . ذلك أنى منحت عقلا له من النشاط والمرونة ما يمكنه من ادراك وجوه الشبه بين الاشياء . ولدى من الثبات ما يعينه على تعرف وجوه الخلاف . ولأنى منحت رغبة فى البحث ، وصبرا على الشك ، وغراما بالتفكير ، وبطأ فى الجزم ، واستعدادا للنقد ، وعناية بالترتيب . ولأنى ليس فى ولع بالجديد . ولا اعجاب بالقديم . وأكره كل أنواع الخداع . لذلك أرى أنى طبيعة تألف الحقيقة ، ولها بها اتصال » .

وقال هكسلى :

« اذا تكلمت عن الاغراض التى كانت نصب عينى من يوم أن بدأت حياتى العلمية فتلك باختصار هى أن أستزيد من المعلومات الطبيعية . وأن أطبق طرق البحث العلمى على كل قضايا الحياة جهد الطاقة وقد نما الاعتقاد عندى بأنه لا يخفف آلام النوع الانسانى الا الاخلاص فى الفكر ، والاخلاص فى العمل ، ومواجهة العالم كما هو بعزم ثابت بعد أن تمزق عنه ثوب الرياء الذى خلعه عليه المراءون »

وقال فارادى :

« يجب على الفيلسوف أن يصغى لكل رأى ، ولكن لا يكون مصدر الحكم الا نفسه ، لا يخدع بالظواهر ولا يميل الى فرض فروض خاصة ، ليس تابعا لمذهب معين ، وليس له فى اعتقاده استاذ ، لا يحترم الاشخاص ولكن يحترم الحقائق . غرضه الاسمى الوصول الى الحق . فان هو أضاف الى ذلك الجد فى السعى كان خليقا أن يخترق حجب الظواهر ، ويصل الى حقائق العالم »

وقال السير ميكائيل فوستر فى خطبة له فى المجمع البريطانى سنة ١٨٩٩

« ان الصفات التى تلزم الباحث فى العلم ثلاث :

(١) يجب أن تكون طبيعته ممتزجة بحب ما يبحث عنه . فالباحث وراء الحق يجب أن يكون مخلصا للحق ، والباحث فى أحوال الطبيعة الصادقة يجب أن يكون صادقا .

(٢) يجب أن يكون يقظ العقل ، فان الطبيعة انما تفهم بالاشارة أو تهمس فى الاذن باوليات أسرارها . فعلى الباحث أن يكون مستعدا لفهم اشاراتها مهما دقت ، ولسماع أصواتها مهما خفيت

(٣) الشجاعة ، وأعنى بها التحمل والصبر »

وقال بكون :

«ان الحق يظهر من الخطأ بأسرع مما يظهر من الخلط والغموض»

فاذا بدأنا عند الخطأ بدأ الخطأ يختفى كالذى يحكى عن الجنى اذا بدا تجسد ... تحت الفرصة للقبض عليه

وصور «داروين» اشتباك العالم تصويرا دقيقا محكما وسمى ذلك «نسيج الحياة» فقال ان العالم كله سلسلة متصلة مشتبكة ، وأوضح ذلك بأن للقطط علاقة بمحصول البرسيم . وليس يقع طائر الا وقد يحدث من وقوعه أعمال واسعة النطاق . فالقطعة الصغيرة من الطين قد تعلق برجل الطائر ويرمى بها الى الارض فتصل بها بذرة «تنبت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة» وهناك دورة لا تنقطع للمادة والقوة فقد تؤثر (ا) فى (ى) ولو لم تعلم (ى) بـ (ا) فهناك علاقة بين تقليل الأشجار ووباء الحشرات ، وبين الطيور وانتشار البذور ، وبين ضوء الشمس وصيد أنواع من السمك . وهذه الامثلة قد تظهر بادئ بدء كأنها ألغاز . ولكن اذا بينت الارتباطات المتسلسلة وضحت وضوح الشمس

وقال آخر : «غرض العلماء أن يروا العالم شفافا وأن يجعلوه «سينماء» عقليا ، صوره المعروضة أسباب متناسقة تمر أمام أعيننا بدون انقطاع»

وقال كارل بيرسن :

« يجب على العالم أول كل شئ أن يزيل العوامل الشخصية من أحكامه ، وأن يقدم على ما يقول برهانا تقبله عقول الناس كما يقبله عقله ، وأن يعنى بتقسيم الحقائق وملاحظة تسلسلها وارتباط بعضها ببعض . »

القرية المهجورة

للشاعر اوليفر جولدسمث

« تابع لما قبله »

أتى عليك زمان كله رغد ... يفيض فوق رباك الخير مطردا
وكان عهدك والفلاح مغتبط ... يأتى له الرزق من غلاته رغدا
لكن تنكرت الأيام وامتلكت ... هذى البلاد قساة أغلظوا الكبدا
تعطلت من ليالى الأنس أربعها ... والأهل قد هجّروها ، لا أرى أحدا

....

«أوبرن» يا جنة السحر التى اختلست ... لقد طواك زمان كله غِيَر
لكم رجعت اليك اليوم مكتئبا ... والنفس ولهانة والقلب منفطر
أرتاد فيك مكانا كان يؤنسه ... ظليل كوخك أو نسرينك العطر
فتملأ الذهن أفكار تراوحنى ... بذكريات عهود كلها صور

....

لما رمت بى النوى فى دار غربتها ... وذقت فيها نصيب الحزن والتعب
ركبتها ولقلبى الصب أمنية ... فأن يكون الى «أوبرن» منقلبى

وكنت أحرص فى جهدى الطويل على قنديل عمرى حرص المشفق الحدب
ألكى أقضى فى قومى بقيته أروى لهم كل مالاقيت من عجب

****

دعوهم حول نيرانى لأطرقهم بعد العشى بأخبارى وأهوالى
كأننى أرنب فى الدو أفزعها صيد فعدت لوكرى بعد إجفال
قد كنت أحلم فى آفاق دسكرتى وكان عودى إليها جل آمالى
فذاك أحسن شئ سحر بهجتها وذاك خير معاذا تربها الغالى

****

ياعزلة الريف يامكنون روعته يا إلف شيخوخة الإنسان فى الكبر
آها على طيب أحلام رزئت بها وسدتها فيك بين الماء والشجر
ما كان أصفى نعيم المرء لو ختمت مشيبه راحة فى دوحك الخضر
بجفو الحياة وما تحويه من خدع غرارة ونعيم غير ذى أثر

****

ما كان أعذب ذاك الصوت يرسله وحى المساء ليغفى فى أصائلك
قد كنت أمشى ويئد الخطو منتشيا أصغى له وهو يعلو من منازلك
والليل أرخى على الراعى ستائره فخب يحدو الرواعى فى خمائلك
وقد تهادى الأوز الغر فى شغف على مياهك . يلهو فى جداولك

****

بالهف نفسى عليك اليوم قد سكتت عن سكب ألحانها هذى الأغاريدا
لم يبق فى الغاب من صوت يجاوبه صدى السكون ولا للريح ترديد
ولم تعد فيك تحيى الأنس ثانية فى الليل فتيانك الطيب الصناديد
لم يبق غير عجوز جد عانية أو ثاكل هدّها هم وتسهيد

****

قد أكرهتها حياة لاتبدلها من مأكل خشن أو مشرب رنق
تقوست ظهرها فوق الضفاف على هشائم العشب تجنيها أو الورق
وثم ترجع فى ضعف يغالبها لكوخها توقد النيران فى الغسق
ظلت لتبقى على الوادى مؤرخة له وتطوى بقايا العمر فى قلق

****

هناك فى أجمة كانت تشارفها أشجار مترفة الأزهار فيحاء !
قد أوحشتها غصون لاتثنيها عناية فتدلت جد لفاء !
هناك ، من بين أغصان محطمة تغشى المكان .. وبين الظل والماء
يقوم مرتبع القسيس فى خفر مستحيا يتوارى تحت أفياء !

****

قد كان شيخا وقور الذات متقيا يخشى الإله ويقضى الليل أوابا !
يعده القوم من أهل اليسار وإن لم يحو غير التقى ذخرا وأسلابا !
وكان فى الناس محبوبا ومحترما يلقى الغريب ويلقى الأهل أحبابا
لم يقرب المدن من إثم يطوف بها بل كان يطوى القرى للوعظ جوابا !

****

مازال سائله المسكين يقصده وضيفه الشيخ يرعاه بلا برم !
ولم يزل يجلس الجندى مصطليا فى داره موقد النيران من أمم !
يروى له كل مالاقى ـ وتلذعه نار الجراح فيشكو شدة الألم
والشيخ جانبهم دوما يقاسمهم آلامهم بحنان غير متهم

****

يظل كالطائر الشادى يرف على صغاره فوق أغصان الخميلات
يحتال كيما يطيروا . ثم يحملهم إلى جناب خصيب فى السموات !
قد راح يزجر من يبطى ويسعفه إذا تخلف عن طير الجماعات !
يهديهم نحو كون لا يطوف به غير السعادة فى علوى جنات[1] !

م . ع . الهمشرى

---

(١) أهدى هذه القصيدة إلى صديق العالى النفس اللامكى القلب (ى . ع) كذكرى خالدة لأيام المنصورة الحلوة .

معنى الشعر

(بقية المنشور على صفحة ٢٨)

والعقل القوى دائماً سيد تجاربه ؛ وهنا يتدخل الشاعر . فالشاعر لايختلف فى النوع عن أقرانه . ولكنه يحتاج الى فهم أعمق لهذه التجارب . وهذا الاجتهاد ، وهذه الرغبة ، وهذه الضرورة هى الجد ، وهى المأساة فى حياة الشاعر . هى الجد اذا استطاع أن يرضى هذه الضرورة؛ وهى المأساة لأن معظم هذه التجارب لا يمكن أن يحقق ويفهم .

والشاعر يعتبر أحياناً عثاً عاما : وهذا صحيح الى حد ما ؛ ولكن الشاعر لم يكن قط باختياره عثاً خلقياً . فالشاعر حين يكتب لايفكر فى فعل الخير : فهو يتفهم تجاربه فقط . واذا اعتقد الشاعر نفسه عثا عاما ، فانه يتعثر فى عمله . ذلك لأنه يفكر عندئذ فيما قد يراه الناس فى عمله . ويكتب تحت هذا الأثر ، بدلا من أن يقول الحقيقة .

ثم قال : أن الشعر فى كل أمة يتأثر الى حد ما بالأقاليم والمناظر وما إليها . وأن مناظر الخريف الانكليزى وتناثر أوراق الشجر ، والسماء الشهباء ، وفصل الكآبة ، قد أثرت فى عقول الوف والوف من الانكليز . ولكن رجلا واحداً لاحظها وفهمها ؛ ثم أخرج منها أصدق صورة ، وصاغ قطعة من أبدع مافى الشعر الانكليزى ؛ وكان هذا الرجل شكسبير . وكذا البلبل وأغاريده ، فقد نفذت الى ذهن فتى يقيم فى ضاحية لندن فاخرج عنها قصيدته الخالدة « نشيد الى البلبل » وكان هذا الشاعر كيتس .

« والفن كله هو التعبير عن التجارب : ولكن الشعر لا يعبر عنها إلا باللفظ . وذلك صعب لأن الألفاظ تستعمل للتعبير عن كثير من الأشياء العادية . ولذا وجب أن يستعمل الشاعر الألفاظ بطريقة تجعلها حية دائماً . والشعر أعظم من الشعراء ، فهؤلاء يموتون . ولكن شعرهم يبقى دائماً حياً صوحاً »

عنان



سبيل الانسان والطبيعة

للدكتور احمد زكي
أستاذ الكيمياء بكلية العلوم

الطبيعة تسير في كل ظواهرها وحوادثها على قوانين مرسومة منذ الأزل. وستسير فيما يظهر على تلك القوانين الموضوعة إلى الأبد.

وقد كان الانسان القديم يعجب بهذه الظواهر، وتأخذه الرهبة، ويلبسه الاجلال والاكبار عند اعتبار تلك الحوادث، ولكن لم يحفزه شيء إلى تفهمها، ولم تجش في نفسه رغبة إلى تعرف أسبابها، لأنها كانت تستأذن على عقله فرادى وأشتاتاً ثم تُركَم فيه على غير نظام كما يُركم المتاع عند تاجر الأمتعة القديمة، فالحذاء البالي إلى جانب المرآة الصقيلة، والكتاب القيّم بجوار قدر الطعام. وكان عقله صبياً، والعقل قد يصبو في الشيخ، والعقل قد يشيخ في الصبي، وعقل الصبي في القرن العشرين قد يزيد على عقل الشيخ في قرون الحياة الأولى، وعقلي وعقلك اليوم ليسا من خلق هذا الجيل، بل هما تراث الأجيال جاء دوري ودورك في احتوائه، وقد أورثه أعقابي من بعدي وتورثه أعقابك من بعدك وفيه نقص، وقد أورثه وتورثه وفيه زيادة. ولكن لا شك أن ما يورثه جيل جيلا من ذلك يزيد بمر الأجيال بزيادة التجارب وتسلسل الثقافات وتتابع المدنيات.

ولما تفتح الذهن الانساني أخذ يدرك بين ظواهر الكون العديدة أشباها برغم تركبها، وبدأ يبصر بين الأشباه منها وجوها للخلاف برغم خفائها وتعسُّرها، وأخذ يرتب ما دخل عقله شتيتاً فيقرب بين المتعارفات، ويباعد بين المتناكرات، وأصبح ما يدخل عقله يقصد من فوره إلى مكانه من ذلك النظام، وما يستأذن على رأسه يُؤذن له ولكن من باب دخل فيه من قبله أجناسه. وبهذا العقل المنظم، وبما فيه من وحدات متآلفة متخالفة مترابطة، أخذنا نحن بني الانسان نتفهم الطبيعة، فاكتشفنا أن لها قوانين، وأن لها مُثُلا تنسج عليها في كل ما تصنع، ونماذج تحتذيها في كل ما تأتيه.

وقد يتراءى لنا نحن بني العدم والفناء أن الطبيعة تشذ عن مُثُلها أحيانا، وتخرج عن مألوفها أطواراً، وما في الطبيعة من شذوذ، ولا هي تخرج عن مألوف، وإنما هو سوء فهم منا لمألوفها، وقصور منا عن ادراك نواميسها، وما ذلك القانون الذي شذت عنه، ولا الناموس الذي خرجت عليه، إلا من خلقنا نحن، فنحن الألى أوجدناه، ونحن الذين فرضناه وفرضنا اطِّراده. فلما لم نجده مطرداً سمينا ذلك شذوذاً، ولما لم نجد القاعدة التي ابتدعناها متَّبعة أسمينا نواقضها استثناء.

على أننا أثناء ذلك لم نفقد حبنا للنفع، ولم تنقص فينا الرغبة في الفائدة. فكنا لانكشف سراً ناقصاً من أسرار الطبيعة الا وتساءل كيف ننتفع به في بيوتنا. وكنا لانزيح الستار عن عجيبة من عجائب الكون لم نفهمها كل الفهم حتى نتساءل كيف نستفيد منها في مدننا وأسفارنا، وما ضرنا ونحن بنو المادة ان تكون قوانين الطبيعة ناقصة مادمنا نستهدي بها إلى البخار يحملنا من بلد إلى بلد؟ وما ضرنا ونحن بنو النفع أن تكون لنواميس الطبيعة استثناءات مادمنا نصنع بعونها الطوائر من المعدن والخشب، ونبني المواخر تشق البحر ولا تعبأ بما فيه من أمواج وأنواء؟ ونجحنا في هذا السبيل نجاحاً زاد أقدامنا فيه ثباتاً. فبدل أن كانت الغاية مقصورة على فهم الكون ودرس طبائعه، وقبل أن نفهم الكون وندرس طبائعه فنشتفي من ذلك، تطلعنا إلى محاكاة الطبيعة، إلى إنتاج ما تنتج، إلى خلق ما تخلق، إلى التحريك بمثل ما

بحرك ،والتسكين على ماتسكن ، وعمدنا الى مانقضيها كذلك . الى إماتة ماتحيى . والى إحياء ماتميت . الى تحريك ما تسكن وتسكين ماتحرك . والى توجيهها الى ما أراد والى مالم ترد منه غاية ابن آدم : يريد أن يخلق وهو مخلوق . ويحل الوثاق عن قوى الطبيعة وهو بها موثوق . ويسيطر على عالم قليل ماهو فيه ، وكان الناس يرون فى ذلك افتئاتاً من المخلوق على الخالق . فأصبحوا يرون فيه تمجيداً من المخلوق للخالق ، وكانوا يرون فيه زندقة ومروقاً وعصياناً . فأصبحوا يرون فيه إيماناً وتخشعاً وتعبداً ، وتبينوا أن سر الانسان من سر الله ، وأن ما يأتيه الانسان انما يصدر عن فطرة وفطنة هى لله ومن الله

حاول الانسان أن يقلد الطبيعة فى أمور عدة . فبلغ غايته فى البعض . وفاتت الغاية فى البعض . وخاب فى كثير من الأمور .

رأى النبات يخرج ألوانا تشبه ماقى الطيف من ألوان ويخرج ألوانا تزيد على ماقى الطيف من ألوان . ولكن النبات بطيء فى عمله . والانسان خُلق من عَجَل . والنبات لا يجود من ألوانه إلا بالنزر اليسير . والانسان يريدها الوافر الكثير . والنبات يجود منها بعدد على كثرته قليل . والانسان يريد منها عدداً كالمال لا حد لها ولا حصر . فأخذ يبحث ويدأب ويصمد ويصابر الجيل بعد الجيل حتى أتى من الأصباغ بما تحسده الطبيعة عليه . أو لعل الأوفق أن نقول بما تغتبط الطبيعة به . فالانسان بعضها . أتى من الأصباغ بما يطابق أصباغ النبات أحياناً ويشابهها أحياناً . وأتى منها بما يفوقها زهواً واشراقاً . وأتى منها بعدد يكاد يجل عن الحصر وخلط بينها فأتى بكل لون وقعت عليه أعين الأحياء وهم أيقاظ صاحون . وكل لون وقعت عليه أعينهم وهم نيام يحلمون . أتى بألوان تزرى بألوان الربيع فى إبانه . وتستحقر ما يتنزل به وحى الشاعر عند صفاء قريحته وفى سمو خياله .

ورأى الانسان الطائر يطير فاراد ان يقلده فى طيرانه . رآه طليقا من قيود الأرض مالكا أعنة الهواء يسرح فى أبعاد ثلاثة من طول وعرض وارتفاع . فأراد ان يكسر قيده ويستعير للهواء أعنة ويزيد على بعدى هذا السطح الأرضى بعدا ثالثا . وبعد خيبة تتلوها خيبة . وبعد نفس تتبعها الى خالقها أنفس . وُلدت الطائرات . ولم تولد كالانسان فى ساعة ولا يوم ولا عام . وانما يوم ميلادها كان حقبة من الزمان . فلم تكن نتاج ذهن ، ولكن نتاج أذهان . وأصبح انسان هذا العصر يطير فى الجو كيف شاء وحيث شاء . وحصد بنو اليوم حصادا حُصدت فى سبيله رقاب بنى الأمس .

ومن أحدث الأمثلة فى تقليد الانسان للطبيعة ماجاءت به الأنباء منذ قريب بما يحق لنا أن نسميه ثورة قصد العلم اليها فى الاضاءة والضياء . كنا فى الأزمنة الأولى نقنع فى حلك الليل بالضوء القليل يخرج علينا من حريق الخشب مع فحمه ودخانه . وحمدنا القدر لما هدانا الى الزيوت والشموع نشعلها على هوانا ونطفئها على هوانا . وزدنا للقدر حمدا لما تهيأت لنا مدخنة من زجاج وضعناها على المصباح فوقتنا سخامه . وجاء المصباح الكهربائى فوجمنا له حينا نحسبه من عمل السحرة أو صنع الشياطين . ولما اطمأننا اليه زدناه على السنين شدة وزدناه جمالا . وكنا نحسب ان هذا غاية المنى ومنتهى الأمل . ولكن الانسان بعد أن وجم لهذا المخلوق الجديد مستغربا معجبا . وبعد أن رباه ونماه فخورا ازاءها . وجد أخيرا أنه لم يبلغ به هواه . ونظر الى الشمس فى بياض ضيائها وبارع سناها فابتسمت له أو ابتسمت منه . فوجد فيها الغاية التى ليس من بعدها غاية . وتبين فيها آية الطبيعة الكبرى والمثال الذى تتضاءل بجواره الأمثال . فرجع يقسم ألا يفتر له عزم حتى يأتى بمثل هذا السنا والضياء .

وجاءت البشائر فى الأشهر القريبة الماضية بأنه نجح فى هذا أو كاد . وأنه استعاض عن المصباح الكهربائى الأثرى - أو الذى سيصبح عن قريب أثريا - بمصباح جديد لا فتيل فيه . وانما ملئت زجاجته بمزيج من غازين بنسب خاصة تمر فيه الكهرباء فيخرج منه ضياء يشبه ضياء الشمس فى امرين : فى نصوع بياضه وفى انتظام توزعه . وهو فوق ذلك لا يتكلف من الكهرباء الا خمس ما كان يتكلف المصباح القديم - أو الذى نرجوا أن نسميه فى القريب العاجل قديما . وهم يعدوننا أنه لا يمضى شهر حتى تضاء أميال من الطرق بجوار لندن بهذا الضياء الجديد . وهم يعدوننا أنه لن تمضى سنوات حتى يستعاض بمصابيح الشوارع وما يحملها من عمد طويلة بأنابيب متواصلة من هذا الضياء تمد على الأرض على جانب الطرقات . فلا يكون ثمة حاجة الى انارة العربات والسيارات فى الليل أو فى النهار الذى صنعه الانسان .

المصباح الجديد



أديب

للدكتور طـــه حسين

— ١ —

زعموا أن من أظهر خصائص الأديب حرصه على أن يصل بين نفسه وبين الناس . فهو لا يحس شيئاً إلا أذاعه ، ولا يشعر بشيء إلا أعلنه . وهو اذا نظر في كتاب أو خرج للترويض أو تحدث الى الناس فأثار شيء من هذا في نفسه خاطرا من الخواطر . أو بعث في قلبه عاطفة من العواطف . أو حث عقله على الروية والتفكير لم يسترح ولم يطمئن حتى يقيد هذا الرأي أو تلك العاطفة أو ذلك الخاطر في دفتر من الدفاتر أو على قطعة من القرطاس . ذلك لأنه مريض بهذه العلة التي يسمونها الأدب ، فهو لا يحس لنفسه وانما يحس للناس . وهو لا يشعر لنفسه وانما يشعر للناس . وهو لا يفكر لنفسه وانما يفكر للناس . وهو بعبارة واضحة لا يعيش لنفسه وانما يعيش للناس . وهو حين يأتي من الأمر هذا كله يخادع نفسه أشد الخداع ويضللها أقبح التضليل . فيزعم أنه مؤثر لا يريد أن يستمتع وحده بنعمة الاحساس والشعور والتفكير . وانما يريد أن يشرك الناس في هذا الخير الذي تنتجه طبيعته الدقيقة الخصبة الغنية . فاذا كان متواضعاً معتدل الرأي في نفسه فهو شقي تعس محزون يجب أن يعلن الى الناس ما يجد من شقاء وتعس وحزن . لعلهم يرثون له أو يرأفون به أو يشفقون عليه . وربما لم ير في نفسه ايثاراً ولم يحس أنه شقي . وانما آثر نفسه بالخير وأحبها قليلا أو كثيرا فهو يسجل ما يحس وما يشعر وما يفكر ليحفظه من الضياع . وليستطيع العودة اليه من حين الى حين كلما خطر له أن يستعرض حياته الماضية وكثيرا ما تعرض له الفرص التي تحمله على أن يستعرض حياته الماضية . والذاكرة قصيرة ضعيفة . فلم لا يسجل خواطره وعواطفه وآراءه التي يتكون منها تاريخه الفردي الخاص ليعود إليه كلما دعاه الى ذلك جد الحياة أو هزلها . وما أكثر ما يدعو جد الحياة وهزلها الى أن يستعرض الانسان حياته الماضية وما اختلف عليه فيها من الاحداث .

يخادع الأديب نفسه هذه الضروب من الخداع . ويعللها بهذه الألوان من التعللات . وحقيقة الأمر أنه يكتب لأنه أديب لا يستطيع أن يعيش الا اذا كتب . يكتب لأنه يحتاج الى الكتابة كما يأكل ويشرب ويدخن لأنه يحتاج الى الطعام والشراب والتدخين . وهو حين يكتب قلما يفكر فيما يحسن أن يكتب . وما ينبغي ألا يعرفه القرطاس أو يجري به القلم ، كما أنه حين يأكل ويشرب ويدخن قلما يفكر فيما يلائم صحته وطبيعته ومزاجه من ألوان الطعام والشراب وأصناف التبغ : انما هي حاجة تضطره الى الحركة فيتحرك . وتدفعه الى العمل فيعمل . فأما عواقب هذه الحركة ونتائج هذا العمل فأشياء قد يتاح الوقت للتفكير فيها في يوم من الأيام حين تصبح أمرا مقضيا لا ينصرف عنه ، ولا سبيل الى التخلص منه .

اذا كان هذا كله صحيحاً ، وأكبر الظن أنه صحيح . فيجب أن يكون صاحبي الذي أريد أن أتحدث اليك عنه أديبا . فلست أعرف من الناس الذين لقيتهم وتحدثت اليهم رجلا أضنته علة الأدب واستأثرت بقلبه ولبه ونفسه كصاحبي هذا . كان لا يحس شيئا ولا يشعر بشيء ولا يقرأ شيئاً ولا يرى شيئا ولا يسمع شيئاً الا فكر في الصورة الكلامية . أو بعبارة أدق في الصورة الأدبية التي يظهر فيها ما أحس وما شعر وما قرأ وما رأى وما سمع . وكان يجد مشقة شديدة في اخفاء تفكيره هذا على الناس . فكثيرا ما كان يقول لأصحابه اذا رأى شيئا أسخطه أو أرضاه : ما أخلق هذا الشيء أن ينشىء صورة أدبية ممتعة للسخط أو الرضى . وكان يقضي نهاره في السعي والعمل والحديث حتى اذا انقضى النهار وتقدم الليل وفرغ من أهله ومن الناس وخلا الى نفسه أسرع الى قلمه وقرطاسه وأخذ يكتب ويكتب ويكتب حتى يبلغ منه الاعياء . وتضطرب يده على القرطاس بما لا يعلم ولا يفهم . وتختلط الحروف أمام عينيه الزائغتين . ويأخذه دوار ، فاذا القلم قد سقط من يده . واذا هو مضطر الى أن يأوي الى مضجعه ليستريح . ولم يكن نومه بأهدأ من يقظته . فقد كان يكتب نائماً كما كان يكتب يقظاً . وما كانت أحلامه في الليل إلا فصولا ومقالات . وخطبا ومحاضرات . ينمق هذه ويدبج تلك كما كان يفعل حين كانت تجتمع له قواه العاملة كلها . وكثيرا ما كان يحدث أصدقاءه بأطراف غريبة قيمة من هذه الفصول والمقالات

التي كانت تمليها عليه أحلامه فيجدون فيها لذة ومتاعا . وكثيراً ما كان يقرأ عليهم فصولا من النثر ومقطوعات من الشعر أملتها عليه يقظته وسجلتها يده حين كان يخلو الى نفسه بعد أن يكون قد ملأ عينيه وأذنيه وحسه وشعوره وقلبه وعقله بما يحيط به من الأشياء ، وبما يحسه من الناس ومن الحياة . وكان أصدقاؤه اذا سمعوا منه هواجس الأحلام أو خواطر اليقظة ألحوا عليه فى أن يذيع ذلك وينشره . فيبتسم ثم يجزأ ثم يمتنع عليهم ويلح فى الامتناع . لأنه كان يؤمن بأن ما يكتبه لم يصل بعد الى أن يكون خليقا بأن يقدم الى المطبعة . فهو كان يخاف المطبعة ويكبرها ويحيطها بشيء من التقديس غريب . وكان يتحدث بأن ما يقدم الى المطبعة من الآثار المكتوبة أشبه شيء بما كان يقدمه الوثنيون القدماء الى آلهتهم من الضحية والقربان . وبما يتقدم به الآن المؤمنون المترفون الى إلاههم من الصلاة والدعاء . فمن الحق أن تصطفى الضحية وأن يتخير القربان . وأن تكون الصلاة قطعة من النفس . وأن يكون الدعاء صورة للقلب والعقل جميعا . وكان صاحبنا يرى أن ليس فيما كتب ضحية تصطفى . ولا قربان يختار . وانه لم يوفق بعد الى أن يودع القرطاس قطعة من نفسه ، أو يسطر عليه صورة قلبه وعقله . فما زالت الآماد بينه وبين المطبعة بعيدة . ومازالت الأستار والسجف دونه مسدلة . فليكتب إذاً لنفسه لا للمطبعة . فاذا ضاق بنفسه وبما تملي . فليظهر أصدقاءه على شيء منه ليرضى هذه الحاجة القوية التي تدعونا جميعا الى أن نشرك الناس فيما نحسه من حس أو شعور والحق أن صاحبي لم يكن يقدم على هذا الا كارهاً مضطرا حين لا يجد بدا من الاقدام . أو حين يسأله أصدقاؤه عما أحدث بعدهم . وكان حياؤه يمنعه من اظهار عقله وقلبه . كما يمنعه من عرض جسمه عاريا على الناس . ولكن أصدقاءه لم يكونوا فى حاجة الى أن يروا شخصه عاريا ، وكانت حاجتهم شديدة الى أن يروا نفسه كما هي . لأنها كانت جميلة خلابة تروعهم حينا وتثير فى نفوسهم الحب والمودة دائما .

كان قبيح الشكل نابى الصورة تقتحمه العين ولا تكاد تثبت فيه . وكان الى القصر أقرب منه الى الطول . وكان على قصره عريضاً ضخم الاطراف مرتبكها . كأنما تآمرت على عجل فزادت بعض أطرافه حيث كان يجب أن تنقص ، ونقصت حيث كان يحسن أن تزيد . وكان وجهه جهما غليظا يخيل الى من يراه أن فى خديه ورما فاحشا . وكان له على ذلك أنف دقيق مسرف فى الدقة ، منبطح غال فى الانبطاح . قد اتصل بجبهة دقيقة ضيقة لا يكاد يبين عنها شعره الغزير الجعد القاصر . لم تكن قد تقدمت به السن بل لم يكن جاوز الثلاثين ، ولكن علامات الكبر كانت بادية على وجهه وقده لا يخدع عنها أحد . كان على قصره مقوس الظهر اذا قام ، منحنيا اذا جلس ، ولعل إدمانه على الكتابة والقراءة . وإسرافه فى الانحناء على الكتاب أو القرطاس هما اللذان شوها قده هذا التشويه . وقلما كان وجهه يستقيم أمامه . إنما كان منحرف العنق دائما الى اليمين أو الى الشمال ؛ وقلما كانت عيناه الصغيرتان تستقران بين جفونه الضيقة . إنما كانتا مضطربتين دائما لا تكادان تستقران على شيء حتى تدعاه مصعدتين فى السماء ، أو تنحرفا عنه الى مايليه من إحدى نواحيه ولم يكن صوته عذباً ولا مقبولا . وانما كان غليظاً جافاً ، ولكنه مع ذلك لم يكن يخلو من نبرات حلوة تجرى عليه اذا قرأ شيئاً فيه تأثر وانفعال . وكان له ضحك غليظ عنيف يسمع من بعيد ، بل كان كل مايصدر عن صوته غليظاً عنيفاً . يسمع من بعيد ، ولم يكن للتجوز معه سبيل . وكثيراً ما صاحبه ذلك حين كان فى باريس . وكثيراً ما حمل ذلك الناس عامة وأصدقاءه خاصة على أن يضيقوا به ويجتنبوه اذا لقوه فى قهوة أو ناد أو ملعب من ملاعب التمثيل . وهو على رغم هذا كله كان أحب الناس الى وأكرمهم على وآثرهم عندى وأحسنهم مسلكا الى نفسى ومنزلا من قلبى . كان يزورنى فانصرف اليه عن كل شيء ، وأقضى معه الساعات ، فاذا تركنى خيل الى أنى لم أقض معه الا اللحظات القصار . وكنت اذا أعيانى الدرس واحتجت الى الرياضة أو الراحة . آثرت زيارته والتحدث اليه والاستماع له على كل ما كانت تقدم الى القاهرة أو باريس من أنواع الرياضة والراحة .

— ٢ —

فقد عرفته فى القاهرة قبل أن يذهب الى باريس ثم أدركته الى باريس بعد أن سبقنى اليها . عرفته مصادفة وكرهته كرهاً شديداً حين لقيته لأول مرة : كنا فى الجامعة المصرية القديمة فى الأسبوع الأول لافتتاحها وكنت أختلف الى ما كان يلقى فيها من المحاضرات حريصاً عليها مشغوفاً بها معتزماً أن لا أضيع حرفا مما يقول المحاضرون . وكان مجلسى لهذا دائماً قريبا من الأستاذ . فإنى لمصغ ذات ليلة الى الأستاذ واذا صوت من ورائى ينطلق بالحديث هادئاً ولكنه . على هدوئه يملأ أذنى جميعا ، ويكاد يخفى على صوت الاستاذ . فأجد فى التخلص منه فلا أفلح ، وأضيق بهذا الصوت ويضيق به صاحباى اللذان يكتنفانى . فنلتفت الى صاحب الصوت نطلب اليه الصمت فلا يسكت الا ريثما يستأنف الحديث ، ونراجعه مرة أخرى فلا يحفل بنا . فنشكوه الى الاستاذ فيضطره الاستاذ الى الصمت . حتى اذا انتهت المحاضرة وخرجنا من غرفة الدرس رأيناه قد وقف لنا ينتظرنا : فيعرض لنا فى غلظة ، فاذا زعمنا له أن من حقنا أن نسمع الاستاذ ، وأن ليس له أن يصرفنا عنه قهقه

تهتهة خفيفة . وقال فى صوت ماشك أن الأستاذ قد سمعه :
«وماذا تريدون أن تسمعوا ؟ ولكنكم معذورون . جئتم من الأزهر فكل شيء عندكم قيم ، وكل شيء عندكم جديد . »

واجتهدنا بعد ذلك فى أن نجتنب مكانه من غرفة المحاضرات . وأن نختار لأنفسنا مجلساً بعيداً منه أقصى غاية البعد . تركناه ولكنه لم يتركنا ، وكأنما عمائمنا كانت تغريه بنا وتعرضه علينا فلم نكن نخرج من محاضرة حتى يعرض لنا ويأخذ بجبتى أو قفطانى وهو يسألنى « أأعجبتك المحاضرة ؟ » فان قلت « نعم » قال : وماذا أعجبك منها ؟ وهل فهمتها على وجهها ؟ وكان يقول لى : هون عليك من هذا الحرص على المحاضرات ، ولا تتهالك عليها هذا التهالك ، فهى أقل غناء مما تظن وخير لك أن تقرأ من أن تسمع . فلما ألح على فى ذلك سألته واذا كنت ترى هذا الرأى فما اختلافك الى الجامعة ؟ وما استماعك للمحاضرات وما تهويشك علينا بصوتك العالى وحديثك الذى لاينقطع ؟ فضحك وقال : الجامعة شيء جديد أحب أن أراه ، وقد سئمت القهوة ، ولو لم يكن فى الجامعة الا أنت وأصحابك هؤلاء الذين تتفتح عقولهم للعلم الحديث فيتلقون ما يسمعون فى كلف ونهم مصدرهما الجهل العميق ، لكان هذا كافيا لأن اختلف الى الجامعة واستمع للمحاضرات . ثم سألنى ذات يوم : أين تقيم ؟ أجبته : أقيم فى حى كذا . قال : ومع من تقيم ؟ قلت : مع جماعة من الأهل والأصدقاء كلهم يطلب العلم فى الأزهر أو فى المدارس المدنية . قال : ان منزلك بعيد وليس بيتك بالتى تحب ، فأنا لاأحب مجالس الطلبة ، وأنا مع ذلك حريص على أن أجلس معك وأتحدث اليك فأطيل الحديث ، بل أنا حريص على أن أقرأ معك بعض الكتب ، فلا بد اذا من أن نلتقى ، ومن أن نلتقى فى نظام واطراد فليكن ذلك عندى ، ولك على أن أردك الى أهلك وأصدقائك قبل أن يتقدم الليل ، ودون أن تجد فى ذلك مشقة أو تحتمل فيه عناء . وكان يقول هذا بصوته الغليظ العريض فى لهجة الحازم الواثق بأن أمره مطاع . وتقدمت أن أرد عليه معتذراً ، وما كان أكثر المعاذير ! فلم أكن أستطيع أن أسهر ولا أتعرف الى أحد دون اذن من أخى ، وكان على أن أغدو مع الفجر الى درس الأصول ، ولم يكن بد من أن أستعد لهذا الدرس وغيره من دروس الأزهر ، وأن أعرض هذا الوقت الذى أضيعه كل مساء فى الجامعة على كره من أخى فى القاهرة وأسرتى فى الريف . هممت أن أعتذر ولكنه لم يمهلنى ولم يتح لى أن أقول حرفا ، وانما استوقف عربة ودفعنى فيها دفعا وأمر خادمى الأسود الصغير أن يجلس الى جانب السائق ، وجلس هو الى جانبى وقال للسائق بصوته الغليظ العريض : الى القلعة . وكنت أسكن فى أقصى الجمالية . فلما أخذت أقدر بعد الأمد بين داره ودارى ، وهممت أن أتكلم وضع يده على كتفى وقال : ألم أقل لك انى سأردك الى حيث تقيم ؟ !

— ٣ —

وقطعت بنا العربة أحياء مختلفة . ومضت بنا فى أجواء متباينة وكنت أحس اختلاف الأحياء وتباين الأجواء فيما يصل الى من أصوات الناس وحركاتهم . ومن اضطراب الأشياء من حولنا كما كنت أحس ذلك فى سير العربة نفسها وفى لهجة السائق وهو يدفع الناس أمامه ويطلب اليهم أن يتنحوا له عن الطريق ، أو أن يجنبوا أنفسهم خيله وعربته .

كان الحر رشيقا أنيقاً ، وكان الجو سمحاً طلقاً ، وكانت الحركات والأصوات من حولى لاتخلو من شدة وعنف . ولكن فيها ظرفاً وتأنقا . حتى إذا بلغنا شارع محمد على ضاقت الطريق واشتد أمامنا الزحام وكثر من حولنا الصياح . وأخذت أصوات الأطفال ونساء الشعب تختلط بأصوات الرجال من العمال وسائقى عربات النقل ، وانتشرت فى الجو روائح ثقيلة تمتاز منها روائح البصل والثوم وقد أخذت تعمل فيهما النار . وارتفع صوت السائق واتصل . وكثر نذيره ، وتحذيره وكثر من حوله لوم الناس له وتأنيبهم اياه ، وتردد فى الهواء هذا الصوت المعروف الذى يحدثه السائقون بأسواطهم حين يأتون بها هذه الحركة التى يروعون بها الخيل ويفهمون بها المارة ، ثم تفسح الطريق وتتسع ، ويصفو الجو ، ويخف الهواء ، وتهدأ الحركة ، ويتنفس السائق مطمئنا ، وتمشى الخيل رفيقة ، ولكن ذلك لايطول إلا ريثما تنعطف العربة ذات اليمين واذا نحن فى حارة ضيقة هادئة قد ثقل فيها الهواء وفسد فيها الجو وكثرت فى أرضها الأخاديد فالعربة تقفز بنا قفزا والسائق يهز سوطه فى الهواء ويحذر وينذر فى هدوء ورضى ، ويدعو ذلك بعض النوافذ الى أن تفتح ، ويثير ذلك بعض الصبيان فيخرجون من بيوتهم أو من أوكارهم يهتفون بالسائق ، ومنهم من يتعلق بالعربة ثم ينصرف عنها ، ونحن نضحك من هذا كله ونضحك من السائق خاصة وهو ينظر أمامه ويلتفت وراءه ويضرب الهواء بسوطه ويطلق لسانه بألفاظ ترق حتى تبلغ المداعبة الحلوة ، وتغلظ حتى تصل الى الشتم القبيح ، وكل ذلك يصل الى نفسى فيحدث فيها آثاراً مختلفة ، ولكنها على اختلافها تتفق فى شيء واحد هو الطرافة لأنى لم أكن تعودت ركوب العربات ، ثم يقف السائق فجأة وننزل من العربة ، واذا صاحبى يقول لى لم نبلغ البيت بعد ، ولكننا انتهينا الى حيث لاتستطيع العربة أن تمضى ، فهل تعودت التصعيد والرقى فى الجبل ، فأنا لاأحب أن أسكن فى السهل

(البقية على صفحة ٣٨)

رحلة الى دير طور سينا

للأستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة الامتحانات والمطالعات بوزارة المعارف

٢

عندما وصلنا الدير بعد ثلاثة أيام، قضيناها على ظهور مطيه الهجن العتاق وصلنا على أحسن حال. فترجلنا أمام الباب وأرسلنا إذن الدخول الى المطران مع أحد خدمه الدير. وبعد برهة خرج الينا أحد القساوسة ورحب بنا ثم قادنا الى دهليز ضيق كمداخل الطوابي ينتهي الى طريق صاعد. ثم الى طرقة تطل على كنيسة. ثم ارتقينا سلما ينتهي الى ساحة مكشوفة فيها حجرة كبيرة استقبلنا فيها وانضما رئيس الدير. وبعد ان صافحنا جلس وجلسنا على مقاعد وثيرة. وبعد تبادل عبارات التحية والترحيب دخل الخادم يحمل بين يديه صينية من الفضة عليها كؤوس صغيرة بها شراب الزبيب فطاف بها علينا. ثم خرج وعاد يحمل صينية أخرى عليها أقداح كبيرة بها قهوة لم أذق ألذ منها. ثم وفد الى الحجرة قساوسة الدير بملابسهم الكهنوتية السوداء وقبعاتهم العالية. وكان عددهم ثمانية. فحيونا ببشاشة ولطف. وجلسوا على المقاعد القريبة من الرئيس. وبعد حديث قصير وأسئلة شتى وقف الرئيس وانصرف الى مكتبه. وقادنا القسوس الى الاماكن المعدة لنزولنا. وهي صف طويل من الحجرات أمامها ممشى مسقوف ويتوسطها دورة مياه ومطبخ وحجرة للمائدة والحجر. كثيرة الأثاث والرياش ففيها الأسرة والمقاعد والدواليب والصور وأرضها مغطاة بالسجاجيد والأبسطة، وحجرة المائدة كاملة المعدات، وبالجملة يتوافر في مكان الضيافة جميع وسائل الراحة مع النظافة وحسن الترتيب ونوافذ الحجر تطل من علو شاهق على مدخل الدير وحديقته.

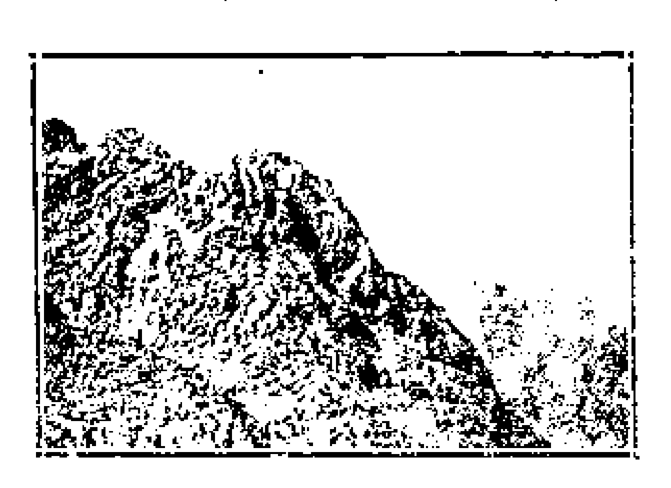


منظر الدير ويرى برج الكنيسة وخلفه الجبال والحديقة

ويشرف على الجبال والوديان والمسالك لمسافة بعيدة

وبعد ان استرحنا وتناولنا الغداء تجولنا في نواحي الدير المختلفة وخرجت أنا وأربعة من الرفاق نصعد الى قمة جبل المناجاة أو جبل موسى عليه السلام.

ويبدأ الطريق المؤدية الى القمة من قاعدة الدير في الجهة الجنوبية صاعدة رأسية تقريبا على درج من حجر مرصوص يشبه الدرج العادي. وقد مكثنا نصعد هذه السلالم نحو ساعتين ونحن نلهث لهثا شديدا من فرط ما أصابنا من الاعياء والتعب. وقبل بلوغنا القمة اجتزنا فجوة في الجبل دخلنا منها الى رحبة فيها كنيسة



جبل موسى: بالقرب من القمة

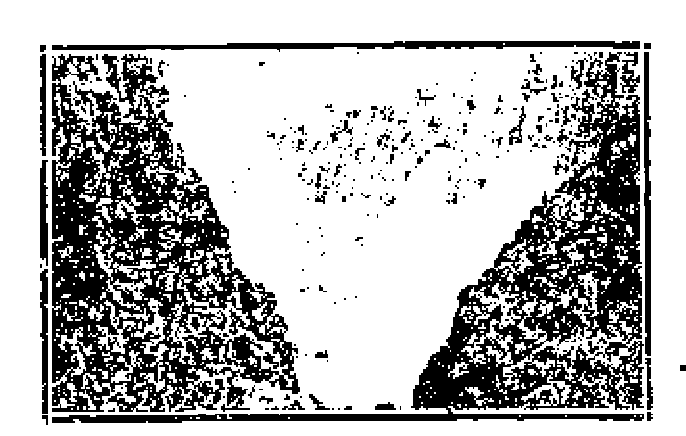
وحديقة صغيرة ينمو فيها شجر السرو. تسقى من نبع ينبض ماؤه العذب على جوانب الصخر.

استرحنا قليلا ثم استأنفنا الصعود. وبعد نصف الساعة تقريبا وقفنا على قمة جبل موسى. وهي على ارتفاع ٢٢٠٠ متر من سطح البحر (نحو ٨٠٠٠ قدم) وكان الهواء باردا والسماء صافية والشمس تؤذن بالمغيب. فأجلنا النظر فيما حولنا، فكان منظرا ساحرا بديعا لم تر العين أجمل منه. فضوء الشمس ينعكس على القمم بلون أحمر كلون الشفق، وعلى جوانب الجبال بلون أزرق قاتم كالدخان، وبلون أحمر مشرب بالزرقة على الربى والتلاع، وفي الجنوب البعيد ماء البحر الأحمر يتلألأ تحت أشعة الشمس. ومن تحتنا تتقابل الوديان وتتقاطع متجهة كل صوب كأسارير الوجه العجوز. فلما عدت الى نفسي وجدتني مسند الظهر الى حائط مسجد صغير، وعلى بعد خطوات منه كنيسة صغيرة كذلك. فلم أتمالك ان دخلت المسجد أنا وصديقي الأستاذ فريد أبوحديد (ألبسه الله ثوب العافية) وركعنا لله ساجدين بقلوب خاشعة ونفوس طافحة بالذكريات التاريخية والدينية.

وعند خروجنا من المسجد لمحت جماعة من البدو رجالا ونساء وأطفالا وقد جلسوا في وهدة تحت جدار المسجد من جهة المقابلة حول نار

أوقدوها للتدفئة فلما رأونا هبوا الينا مهللين مكبرين . فصافحناهم وتبادلنا واياهم التحيات والتمنيات . ثم سألناهم عن سبب وجودهم هنا فى هذا البرد القارص . فقالوا قد جرت العادة من قديم الزمان ان نجتمع هنا يوم وقفة عيد الأضحى المبارك . ثم نقضى الليلة . وفى الصباح نصلى صلاة العيد فى هذا المسجد العتيق وننحر وبعد تبادل التهنئات والدعوات الصالحات نتفرق عائدين الى ودياننا .

ملأنا العين بهذه المناظر الفريدة ثم عدنا أدراجنا الى الدير وقد غابت الشمس وظهر القمر . فكان الهبوط أسهل من الصعود وأكثر خطرا بسبب الظلام



جبل المناجاة والنازل الى الدير

فى صباح اليوم الخامس جلنا فى الدير ومشتملاته وملحقاته . فالدير نفسه من حيث هندسته وأسواره وطرقاته وغاباته وأقبيته وسلالمه الحلزونية الكثيرة وابراجه وعيون المدافع ومواضعها أكثر شبها بالحصن منه بالدير . والحقيقة أنه بنى ليكون معقلا للرهبان يقيهم غزوات البدو . والمشهور أنه بدىء فى تشييده سنة ٥٢٧ ميلادية اثناء حكم الامبراطور البيزنطى يوستينيانوس

يبلغ طول الدير نحو ٣٠٠ متر وعرضه نحو ٢٠٠ متر وارتفاعه فى المتوسط نحو ١٥ مترا وهو مبنى بحجر الجرانيت المنحوت . ويوجد فى فنائه كنيسة كبيرة ينزل اليها بسلالم ، وهى عامرة بالتحف الثمينة من شمعدانات وثريات ومصورات وما الى ذلك من الاشياء الكنسية ذات القيمة العالية ، والكنيسة أفخم مبانى الدير وأجلها من حيث المبانى والزخرف ، ولها برج عال معلقة فيه الأجراس النحاسية الكبيرة . وتقام فيها الشعائر الدينية فى أوقاتها .

وفى الجهة الشرقية من الدير صوامع الرهبان ، وهم لا يخرجون منها الا نادرا . وقد تقابلت مصادفة بواحد منهم اثناء تجوالى فى الدير فرأيته شيخا ضعيفا لا يقوى على السير الا بصعوبة ، وبمجرد ان وقع نظره على أسرع الى أقرب صومعة واختفى فيها بحالة عصبية دهشت لها وعدد رهبان الدير الآن لا يزيد على العشرين مع أن عددهم قبل الحرب كان كبيرا . وهم من شعوب مختلفة . معظمهم من روسيا والأمم السلافية الأخرى . وليس لهؤلاء الرهبان من عمل فى الدير الا النسك والعبادة . أما شئونه الأخرى من ادارة واقامة شعائر وحراسة فهى من وظائف القساوسة . وبالقرب من الكنيسة وفى مستوى اعلى منها جامع أثرى صغير مفروشة أرضه بالبسط . وفيه منبر صغير ويلتصق بالجامع مئذنة مرتفعة . وهو يفتح للصلاة فى أوقاتها الخمسة .



الدير منظر داخلى

وفى أفناء الدير شاهدت طاحونا يديرها بغل . وبجوارها مخبز يصنع فيه الخبز اللازم لرجال الدير وللتوزيع على البدو على حسب العادة التى جرى عليها الرهبان من زمن بعيد .

وفى الجهة الشمالية حجر القساوسة ومكتبة الدير وكانت مغلقة .

وامام الدير حديقة واسعة منسقة تنسيقا حسنا . وبها كثير من أشجار اللوز والتين والزيتون والموالح والكروم . ومزروع فيها شتى البقول والخضر والزهور الجميلة . وفى ناحية منها كنيسة الجماجم ، وهو بناء حديث جمعت فيه جماجم وعظام الرهبان والقساوسة الذين توفوا بالدير من عصور بعيدة . وقد رصت فيها

صمموا بعضها فوق بعض ووضع بعضها في صناديق خاصة تكريما لأصحابها، أما المكاتبهم الكهنوتية أو ثيابهم اثناء حياتهم بعمل بجيد الدير

ويسقى الدير والحديقة من عيون عدة على شكل آبار قليلة الغور

وبعد ظهر هذا اليوم تفرقنا نجوس خلال الوديان القريبة . ومن أجمل المشاهد منظر الصوامع المنتشرة بين الربى على الجبال المحيطة بالدير، وترى بجانب كل صومعة شجرة ... ... طويلة أو نخلة تسقى من نبع أو نؤلول يسيل ماؤه على الصخر فيغيض في المنخفضات والثقوب . وفي الوصول الى هذه الصوامع صعوبة لوعورة الطريق أو انزلاقها أو انحدارها الشديد . وللقساوسة حكايات ونوادر طريفة طريفة يروونها عن تاريخ كل من هذه الصوامع أو المشاهد لا يتسع المجال هنا لسردها

وفي صباح اليوم السادس قفلنا راجعين الى القاهرة فوصلناها سالمين مغتبطين في مساء اليوم السابع

أديب

(بقية المنشور على صفحة ٣٥)

المنطلع فأكون كغيري من الناس . وانما أحب أن أشرف على القاهرة وأن أخيل الى نفسي أني لست منغمسا فيها وأني أدخلها اذا غدوت الى عملي مع الصبح وأخرج منها اذا رحت الى بيتي مع الليل . ولست أخفي عليك اني أجد لذة قوية حين أدخل المدينة مع النهار هابطا اليها من هذه الربوة كأني أغزوها وأسقط عليها سقوط النسر على فريسته . واجد لذة أخرى ليست أقل من تلك اللذة قوة حين أمضي النهار كله في المدينة مضطربا مع الناس فيما يضطربون فيه من عمل، خائضا مع الناس فيما يخوضون فيه من حديث، مشاركا للناس فيما يأتون من خير وشر، نافعا ضارا منتفعا محتملا للضرر، حتى اذا كان المساء ضقت بهم وضاقوا بي وأويت الى جامعتكم هذه الجديدة أريح نفسي بما أسمع من كلام فيه الممتع وفيه السخيف، ولكنه على كل حال ليس بذي غناء . حتى اذا أخذت حظي من هذه الراحة الأولى رحت الى بيتي فلا تسل عن هذا الشعور العذب الذي ينبسط على قلبي شيئا فشيئا . كلما دنوت من هذا المكان أحس كأني أنسل من المدينة وأتخفف من أثقالها وألقي آثامها من ورائي وأطهر جسمي ونفسي من أوضارها وأدرانها حتى اذا رقيت هذه الربوة وبلغت قمتها هذه (وكنت قد أحسست الجهد من الصعيد في طريق عالية ملتوية) وقفت وقفة من كان في مكروه فخلص منه . وأرسلت زفرة يخيل الي أنها تحمل بقية ما علق بنفسي من شر المدينة . ثم تنفست ملء رئتي مرة ومرة ثم أقبلت هادئا مطمئنا قصير الخطى الى هذا الباب . وهنا وقف ودق الباب دقتين ففتح لنا ثم أغلق من دوننا

طه حسين

طرف من شعر السلاطين

« بقية المنشور على صفحة ٢٧ »

لا تحسبن هذا الفلك الغدار يمكن للسرور

فانه يضمر جوراً ويبدي صفاء

قد سبر طبيبي آلامي بنظرة واحدة

كأنه لقمان تذهب يده بالسقام

ان ضللت طريق العشق فسل « عدني »

فهو يهدي الى السبيل كل من أضل طريقه يهدى

السلطان سليمان القانوني « محبي »

ان الذي يؤثر الفقر(١) لا يريد عرشاً ولا ايوانا

ولا يبغي لنفسه طعاماً إلا من زاد الأحزان

ولن يتبوأ عرش القناعة ملكا حرا

لا يريد أن يكون سلطاناً على سبعة الأقاليم كلها

***

انما أهل العشق من يقيم في دار الحبيب

يجن ولكن لا يريد الصحارى ولا الجبال

يا محبي : من يشرب قدحا من يد حبيبه

لا يرد حتى ماء الحيوان من يد الخضر

***

لا شيء أعظم من الدولة في هذا العالم

ولكن الدولة في هذه الدنيا لا تزن نفساً واحداً من العافية

ما هذا الذي يسمى سلطنة إلا ضوضاء الخليقة

وما في هذه الدنيا سعادة ولا جد كالوحدة

دع هذا العيش واللهو فالى الفناء المصير

واذا أردت الصديق الباقي فلا شيء كالطاعة

ان يكن عمرك عدد الرمال

فلن يبلغ ساعة واحدة في زجاجة هذا الفلك (٢)

إن ترد الحضور يا محبي فأفرغ قلبك

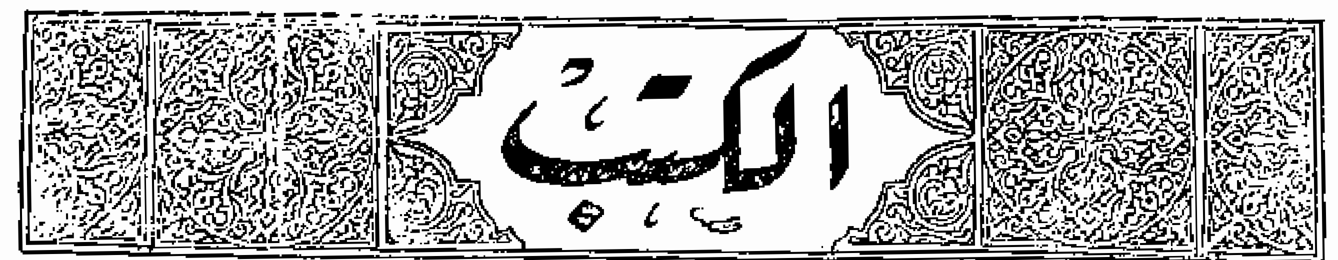
فليس للوحدة مقام كزاوية العزلة

عبد الوهاب عزام

---

(١) الفقر بمعناه الصوفي كما يظهر

(٢) إشارة للبنة الساعة الرملية التي يوضع فيها الرمل في زجاجة ثم يقاس الزمن بنزول الرمل منها .



فى الصيف

لطه حسين

« فى الصيف » بعد « الأيام » دليل بعد دليل على ملكة اخرى كانت مجهولة فى هذا الذهن العجيب ! فقد كان عهد الناس بصديقنا طه عالما غزير البحر ، وباحثا جرىء الرأى ، وناقدا نافذ البصيرة ، وجدليا دامغ الحجة : اما الكاتب الذى يستشف بالالهام حجب الغيب ، ويتمثل بالخيال صور الحقيقة ، ويحيى بالعاطفة خمود الفكرة ، فظل مغمورا بين الأديب الذى يبحث فى ضوء العقل ، والاستاذ الذى يدرس فى حدود العلم ، فلم يكد يظهر الا فى صفحات من ذكرى ابى العلاء نسى فيها المعرى وذكر نفسه ، وفى مقالات نشرت فى الشعور صور فيها عواطفه وحسه ، حتى نشرت (الايام) فعجب الناس ان يكون وراء هذا العقل المتمرد هذا القلب الشاعر ، واقبلوا فى دهشة يتعرفون الى طه التلميذ والأخ والزوج والوالد ، ويتحدثون اليه فى منازله ومباذله وبين أهله ، فيجدون من اللذة فى احاديثه امثال ما وجدوا من الفائدة فى بحوثه . ثم جاء كتاب اليوم قاطعا فى الدلالة على بلوغ هذه الشخصية الأدبية الغاية فى كل ناحية من نواحى الأدب ، حتى الناحية التى لا يغنى فيها الخيال عن الواقع ، ولا السماع عن النظر !

تقرأ (فى الصيف) اديب كبير فتطلب الى طه فى شىء من الدعابة ان يترك العلم الى القصص ، وتقرأ أنت (فى الادب الجاهلى) فتقول هذا اختصاصه وتلك مادته ، ولعلك اذا سمعته يحاضر أو قرأته يناظر تقول هذا عمله وهذه غايته . وابلغ آيات العبقرية ان تكون فى كل مادة أصيلة ، وفى كل موضوع سامية ، وفى كل غاية مبرزة .

***

طه قصصى من طراز خاص ، أو هو لم يشأ الى اليوم أن يكون على غير هذا الطراز . فالأيام وفى الصيف طرائف شتى من الذكريات والتأملات والملاحظات أتالت فى وقت الفراغ على ذهن شديد النفاذ ، وفكر دقيق الملاحظة ، وشعور صادق الحس ، ثم ألف بينها خيال كروح المنطق فيه لذة وفيه عقل ، وأبان عنها أسلوب كأسلوب الحديث فيه طلاوة وفيه فضل ، ثم تقرأ قليلا واذا بك متصل بالكاتب ، مغمور بشعوره ، مسحور بحديثه ، مشغول بتفكيره ، يخرج بك من موضوع الى موضوع ، وينقلك من موضع الى موضع ، دون أن يدع لك السبيل الى استرجاع الذكريات التى هاجها بذكرياته ، واستقبال الخواطر التى جددها بخواطره . فأنت منه كما تكون من البحر الداوى لا تدرى بماذا استولى على شاعرك ؟ أبجلاله أم بجماله أم بسعته أم بروعته أم بكل أولئك جميعا ؟ ثم تفرغ من القراءة وتعود الى نفسك فتقول : ربما ولدت هذا المولد ، ونشأت هذا المنشأ ، ودرست هذه الدراسة ، وسحت هذه السياحة ، ورأيت هذه الصور ، وعرضت لى مثل هذه الخواطر ، ونعمت بمثل هذه الأسرة ، ولكن أولئك كله جف فى خيالى كما يجف نمير الماء فى العود الذابل ، ومات فى خاطرى كما يموت رنين الصوت فى الصخر الاصم ! ولكنها فى الأيام احيا ما تكون فى ذهن ، وفى كتاب « فى الصيف » أزهى ما تكون فى خيال !! ذلك اذن هو الفن الذى يختص الله به انسانا دون انسان ، وذلك اذن هو ما ينقص الناس فيجدونه فى الفنان !!

***

« فى الصيف » لا يروعك منه الحادث ، ولا تدهشك المفاجأة ، ولا تشوقك العقدة ، ولا تفتنك الصنعة ، فانه كما قلت لك مجموعة من الذكريات والتأملات يتشقق بعضها من بعض كما تتشقق الأحاديث . وانما يأخذ بلبك منه الصدق فى تصوير الفكرة ، والحذق فى نقل الشعور ، والنفس التى تشتد فى المجتمع حتى تشتط ، وترق فى الأسرة حتى تضعف ، والروح التى تحلق فوق الاحداث متفردة ، وتخفض الجناح لأهواء الطفلين الحبيبين حانية ، والألمعية التى تصور بالظن فلا تخطىء اليقين ، وتسمو على جناح الخيال فلا تفوت الحقيقة ، والأسلوب الذى يحار فى تعريفه البيان المكتوب ، وأقل ما يصفه به الكاتب العجلان أنه تفصيل فى غير املال ، وبساطة فى غير ابتذال ، وتدفق فى غير كدورة ، وجدة فى غير هجنة ، واهمال

نادر يحرره الاملاء ، وتحرزه شدة الحركة . ومذهب جديد كثر فى ناشئة الكتاب من يحاول الجرى عليه .

٥٥

ان فى هذا الكتاب صفحة ضاقت بمايضيق به القلب الصديق ! نشرتها ظروف وستطويها ظروف ، وسيطيل النظر فيها من يعنى بفهم هذه النفس الكبيرة على حقيقتها ، ودرس ما تأثر به من العوامل فى بيئتها . وان فى هذا الكتاب صفحات على نحو ما فى (الأيام) من ذكريات الأزهر ، وأحاديث اخوان الصفا من طلابه ، والألاف المجود من شيوخه . ولن يتذوق ما فيها من جمال الفن الا من حيى هذه الحياة وشعر هذا الشعور . وان فى هذا الكتاب صفحات خالدات لن تجد كثيرا من أمثالها فى الأدب العالمى ! تلك ما كتبت عن فرنسا عامة وعن الألزاس خاصة .

أما التحليل والتمثيل فلن يغنياك عن قراءته شيئا . وفى اعتقادى أن خير ما يسر به الانسان نفسه أن يغيب عن دنياه فى دنيا هذا الكتاب ساعة أو ساعتين !

الزيات

ضحى الاسلام

أو

أحمد أمين

— ١ —

اذا قرأت ضحى الاسلام عرفت احمد أمين ، واذا عرفت احمد أمين فكأنك قرأت ضحى الاسلام . وكان المعرفة بالاثنين أن تفهمهما معا . لأنك لاتجد تلازما بين شيئين أشد مما هو بين هذا الرجل ومايكتب . فاذا ألف كتابا أوأنشأ مقالا أوترجم فصلا ظل باقيا وراء كلماته وخلال سطوره ، يعرض عليك الصور . ويقرر لك الآراء ، بطلعته الباسمة فى غير افترار ، ولهجته الحازمة فى غير أمر ، وعقله القوى فى غير عنف ، وطبعه الحيى فى غير ضعف ، وأسلوبه الهادئ فى غير فتور فلا تدرى أتقرأ أم تسمع . وكتاب فى يدك أم رجل معك !

وهو فى بروز الشخصية العلمية يتفق مع صديقه طه . ثم يختلف بعد ذلك عنه فى كل شئ .

٥٥

احسن الجاحظ فى أدبنا القديم ، واحمد أمين فى أدبنا الحديث .

ثم قل بعد ذلك فيما يشبه التعميم : ان كل كتاب متى أخرجه الى الناس مؤلفه ، يكاد من وهن الصلة به لايعرفه . وانما تظل مسائله فى قلقها أشبه بالطيور المقنوصة ، لاتفتأ نازعة الى الجو الذى عاشت فيه . والى الوكر الذى أخذت منه . فاذا كثر الحديث عن احمد أمين منذ ظهر فجر الاسلام ، واستفاض هذا الحديث عنه منذ نشر ضحى الاسلام . فذلك لأن هذين الكتابين وحدهما فتح فى الآداب العربية ، ونصر للعقيدة الاسلامية ، ومجد للعقلية المصرية لم يهيئهما الله فى الغابر والحاضر لمؤلف . الا على يد احمد أمين .

ومعاذ الله أن نهجم على الحق ونخدع القارئ برأى لا يقره الضمير ولا يرتضيه العلم ، فقد قضينا العمر بين أشتات المؤلفات العربية ، نكابد ما يكابد غيرنا من تناقض وتعارض وغموض ، ثم عالجنا التأليف وبلونا مايعانيه ناشد العلم فى يد دونها يد ، ثم قرأنا هذين الكتابين فأكبرنا فيهما الجهد الذى لايكل ، والعقل الذى لا يضل ، والبصيرة التى تنفذ الى الحق من حجب صفيقة ، وتهتدى اليه فى مسالك متشعبة .

٥٥

نشأ احمد أمين نشأة أزهرية ، ونعنى بهذه النشأة مايلازمها من نمط خاص فى الحياة والتربية والدراسة والوجهة . ومن غريب هذه النشأة انها تساعد على الهبوط كما تساعد على الصعود . فتخرجو الأزهر اما قادة للشعب واما حملة عليه ، لأن حرية التعلم فيه كانت تهيئ كل نفس لما خلقت له : فهذا تعده ليكون قارئا فى ضريح أو اماما فى زاوية ، وذاك تعده ليكون مستشارا فى محكمة أو أستاذا فى جامعة . واحمد أمين كمحمد عبده وسعد زغلول وطه حسين قد زوده الأزهر بخير مافيه من صبر على الدرس ، واتكال على النفس ، واستقصاء لأطراف البحث ، ثم دفعه الى الحياة دفعا فاستكمل ثقافته فى مدرسة القضاء ، ثم اشتغل بالتعليم ، ثم تولى الحكم بين الناس فى المحاكم الشرعية . ثم ثقف على نفسه اللغة الانجليزية . ثم تبوأ كرسيه فى الجامعة المصرية . وها هو ذا بكتابيه يحتل مكان الزعامة العلمية .

٥٥

أن ألمع مافى شخصية هذا الرجل متانة خلقه . ولأمر ما شغف

منذ شب بتدريس « الأخلاق » ، وترجمة « الأخلاق » ، وتأليف « الأخلاق » ، ولربما يتجدد انتخابه بالاجماع رئيسا للجنة التأليف والترجمة والنشر تسع عشرة مرة فى تسع عشرة سنة متوالية !!

* * *

ان نجاح الأستاذ احمد امين فى الحياة نجاح للعلم وفوز للفضيلة ، لأنه لم يعتمد فى شهرته العلمية على الاعلان و(التهويش) ، ولا فى مناصبه الحكومية على الاستخذاء والملق ، وانما يجرى فى عمله على الاخلاص ، وفى معاملاته على الحق ، وفى علاقاته على الشرف وما حياته الحافلة إلا مثل الحياة العاملة فى غير ضجيج ، الناصبة فى غير ملل ، المثمرة فى غير غرور ولا دعوى ، فهى اشبه شىء بالنبع السلسال العذب ، يسيل حلو الخرير تحت شراجن الادغال ، وفوق مطمئن الأرض ، فيروى العطاش ويمرع السهول ، فى غير هدير ولا صخب !

ذلك هو الكاتب ، واما الكتاب فنرجو ان نوفق الى تحليله فى العدد المقبل .

ملكة الجمـــال

(بقية المنشور على صفحة ٤)

ولكن سلطان الجمال وان استعار ألقاب الملكية . أحاط نفسه بألوان القوة وضروب الأبهة ، ضعيف نحيف ، قاتر قصير المدى كالجمال نفسه . فهو ملك ، ولكنه أشبه بالجمهورية ، وأى جمهورية ؟ أشبه بالجمهورية القديمة : جمهورية اليونان والرومان لا يدوم السلطان فيه لصاحبه أكثر من سنة . وهو ملك ، ولكنه لا يورث ، وانما يكسب بالانتخاب ، وأى انتخاب !! انتخاب ضيق محدود متأثر بالأغراض والاعراض السياسية فى كثير من الأحيان ، فيجب أن يكون ملك الجمال قسمة بين الشعوب تتبادل سلطانه فيما بينها ، تظفر به فرنسا ثم تمره الى بلجيكا ، وهذه تمره الى هولندا ، وعلى هذا النحو حتى يكون لكل شعب حظه من هذه السيادة العالمية البريئة . البريئة ؟ مسألة فيها نظر ! فهى سيادة بريئة بالقياس الى الشعوب والأقاليم والمدن والقرى ، ولكن براءتها تتعرض للشك والخطر فى كثير من الأحيان . ذلك أن هذا الملك الطارئ السريع الزوال يعبث برؤوس الملكات وأسرهن . ومن طبيعة الملك أن يعبث بالرؤوس الا اذا اعتمد على دستور صحيح متين . وليس لملك الجمال دستور . وملك الجمال لا يعبث برؤوس الملكات وحدهن ، وانما يعبث برؤوس كثير من الرعية أيضا ، من الشبان والشيوخ وأصحاب الملاعب والمراقص والسينما . ثم ملك الجمال فصيح على هذا العبث . فهو يجرى أقلام الكتاب فى الصحف ، ويطلق ألسنة السيدات فى الصالونات ، ويزيد هذا كله فى الدوار واضطراب العقول . لذلك لا تكاد ملكة ترقى الى عرش الجمال حتى يصبح مصيرها بعد الخلع — أستغفر الله — بعد الاعتزال مشكوكا فيه . وأكبر الظن أنها صائرة الى ملعب من ملاعب اللهو . أو ناد من أندية الرقص . أو دار من دور السينما ، أو الى هذه جميعا .

فملك الجمال فى حاجة الى دستور يضمن للملكة الا يكون ارتقاؤها الى العرش وسيلة الى ابتذالها .

على ان ناحية اخرى من نواحى هذا العبث الذى يعبثه ملك الجمال بالعقول خليقة بالملاحظة . فملكات الجمال يؤمن علكهن عادة ، ويصدقن انهن ملكات حقا . وكثيرا ما تؤمن لهن الجماعات بهذا الملك ، فيصبح المزاح جدا واللعب حقا لاشك فيه . وينشأ عن هذا الجد الطارئ ، وعن هذه الحقيقة الاضافية الموقوتة التى لم يفكر فيها اينشتين بعد ، لون من الحياة التى يبعث هذه الابتسامات المترددة التى تحدثت عنها اول هذا الفصل .

انظر الى ملكة الجمال التى شرفت مصر بزيارتها هذه الايام لم تكد تهم بهذه الزيارة حتى سبقتها الانباء فطربنا واستشعرنا شيئا من الغبطة لاحد له وتفضلت صاحبة الجلالة الصحافة فقامت لزميلتها فى الملك بما يجب من الاعلان ونشر الدعوة . ثم وصلت ملكة الجمال فلم يكن بد لصاحبة الجلالة الجميلة من ان تتناول الشاى عند صاحبة الجلالة الفصيحة البليغة . وكانت دار الجهاد ملتقى الملكتين على مائدة صديقى توفيق دياب . وتفضلت الملكتان ملكة الجمال وملكة الكلام بشىء من العطف الغالى الكثير على طائفة من الرعية الموالية المفترنة ، وكنت من سهم هذا العطف . ولكن ملكة اخرى ثقيلة ممقوتة تبسط سلطانها الآثم على الناس فى الشتاء وهى صاحبة الجلالة البغيضة الانفلونزا حالت بينى وبين الاستمتاع بهذا العطف السامى من صاحبة الجلالة الجميلة وصاحبة الجلالة الفصيحة . فأسفت وما اشد ما اسفت !

وملكة الجمال ظريفة كما ينبغى ان تكون فلم تكد تصل الى مصر حتى ادت طائفة من الواجبات يفرضها عليها جلال الملك

وسياحة الجمال بدأت فتحدث اسمها في قصرنا الملكي العالي ثم تحدث فزارت رئيس الوزراء ... دنا فرعا من السلطة التنفيذية فعطفت على السلطة التشريعية فتفضلت بزيارة البرلمان. فأدى وكلاء الامة واجبهم بين يدي جلالتها كأحسن ما تكون التأدية

ثم لم تكد صاحبة الجلالة تفرغ من مصر الرسمية حتى تفضلت ففكرت في مصر المفاوضة ... الثالث فوق الاحزاب فتعطفت بزيارة حضرة صاحب الدولة رئيس الوفد المصري ثم فكرت في مصر التي لا تشتغل بالسياسة وانما تشتغل بالاصلاح الاجتماعي والاقتصادي فتفضلت بزيارة حضرة صاحبة العصمة رئيسة الاتحاد النسائي وزارت دار الاتحاد وشهدت فيه التمثيل وزارت دور الصناعة والتجارة وهي في هذه الزيارات تؤدي لكل حقه مما فطرت عليه من جمال وظرف وأدب ورشاقة وخفة روح. واذا جلالة أخرى رسمية تشرف مصر وهي الجلالة الايطالية فيقطع حديث الجمال ويبتدئ حديث السياسة. وليست هذه الصحيفة من السياسة في قليل ولا كثير.

فلنكتف اذا بأن نرحب في صدق واخلاص بصاحبي الجلالة الايطالية ثم لنعد الى ملكة الجمال. فنتمنى لها التوفيق بعد الملك كما وفقت اثناء الملك ولنلتفت بعد ذلك الى القارئ الكريم فننصح له بأن يقرأ قصة تمثيلية بديعة أنشأها الكاتبان الفرنسيان جورج بيرولويس فربول موضوعها ملكة الجمال وعنوانها (مس فرانس) فسيجد القارئ في هذه القصة جدا وهزلا وفكاهة وصراحة ولذة قوية على كل حال ؟

طه حسين

بعض الناس

(بقية المنشور على صفحة ٥)

وسكت الصديق ونظر الي نظرة جازعة لما يعانيه مني من القسوة في الحكم على مثل تلك العثرات. والعجيب من أمري اني وجدتني أكثر محبة لهذا الصديق بعد أن قص علي قصته. وأشدهما لظروفه ووجدتني أرى عثرته مقالة وزلته مغفورة ورحت أهون عليه الخطب والتمس السبيل لتهدئة أعصابه.

وخلوت لنفسي بعد ذلك وفكرت كيف يتغير حكمنا على الأشياء بتغير فاعليها. ليس منا من أمن العثار. واذا وقانا الله شرها في أنفسنا فقد يعثر حميم نعزه. فلم نقل عثرات الأولياء وتلمس العذر لاخطاء أنفسنا ومن نحبهم ثم نقسو في الحكم على من بعدت بيننا وبينهم الصلات ؟

علمتني هذه الحادثة أن أقيل كل عاثر وارحم كل خاطئ. وانظر الى كل زلات الناس على أنها أمراض تعالج بالرفق والعطف والرحمة

اللذائذ والآلام أوهام

ليست اللذائذ الا بعض خدع الطبيعة مغرية بها على اداء وظائفها الحيوية. ألست ترى أحدنا اذا مر وهو جائع بمقربة من طعام وفاحت رائحته فست خياشيمه. ولاحت صور فرأتها عيناه سال له لعابه وتحرق شوقا الى التهامه. حتى اذا ما ملأ منه معدته وأدى ما تطلبه الطبيعة لحفظ الذات صدف عنه كارها ولم تثر فيه رائحته ومرآه شهوة.

وكذلك الحال في كل لذائذ الحس لا تبهر الا جائعا ولا تثير غير صادي. فاذا ارتوى منها زهدفيها.

ومثل اللذائذ الآلام فهي احساس خادع ينبه المحروم من اداء وظائفه الحيوية الى ادائها.

واحسبنا نستطيع بشيء من رياضة النفس والمران على حكم الأعصاب. أن نصل الى منزلة نغالب بها الى حد كبير خداع الطبيعة فلا تثيرنا كثيراً لذائذ الحس وآلامه.

محمد عبد الواحد خلاف

إعتـــــذار

حالت كثرة المواد بيننا وبين نشر النسائيات والمسرحيات في هذا العدد والذي قبله فنعتذر مرة أخرى لحضرات الكتاب والقراء

بيان

لا نرسل المجلة بعد هذا العدد الا لمن أدى بدل الاشتراك. ولا يقبل اشتراك مالم تدفع قيمته سلفاً.

....

لم يبق من العدد الأول الا نسخ معدودة احتفظنا بها للمشتركين فنرجو ألا يطلبه بالبريد غير مشترك.